أيّام العمر

أيَّـام العُمـر

رسائل خاصة

بين طه حسين وتوفيق الحكيم

إبراهيـم عبدالعزيز



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٣

مكتبة الأسـرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(سلسلة روائع السيرة الذاتية)

إشراف: د. سهير المصادفة

أيام العمر
إبراهيم عبدالعزيز

الغلاف
والإشراف الفنى:
الفنـان : محمـود الهندى
الإخراج الفنى والتنفيذ:
صبرى عبدالواحد
الإشراف الطباعى:
محمود عبدالمجيد
المشرف العام :
د.سميـر سرحـان

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقـافـة

وزارة الإعـلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة التنمية المحلية

وزارة الشــباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

على سبيل التقديم:

لا سبيل أمامنا للتقدم والرقى وملاحقة العصر إلاّ بالمزيد من المعرفة الإنسانية.. نور يهدينا إلى الطريق الصحيح، ولأن مكتبة الأسرة أصبحت أهم زهور حدائق المعرفة نتنسم عطرها ربيعًا للثقافة المصرية الأصيلة.. فإننا قطعنا على أنفسنا عهدًا ووعدًا ليس لنا إلا الوفاء به لتثمر شجرة المعرفة عطاءً للأسرة المصرية.

د. سمير سرحان

الإهداء

إلى أخي أبو رحمة ..

التي طال انتظاره وشوقه إليها ...

حتى جاءته بعد صبر كاد أن ينفد

لولا أن الله قد صدقه وعده

«فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا»

فلتكن له يسرا من اليسر، ورحمة

من الرحمة تقرّ بها عيون والديها

المؤلف

أيام العمر

رسائل خاصة

بين طه حسين وتوفيق الحكيم

«.. جمعتنا أجمل أيام العمر،

كما جمعنا الفكر على

صفحات كتاب ..»

توفيق الحكيم

مقـــــدمة

على مدى التاريخ الأدبى العربى الحديث أثناء قوته وزهوه وغنائه يمكنك ان تستخرج علاقة صداقة ادبية ، ويمكنك أن تجد لها نموذجا يعبر عن تلك الصداقة وعمقها وأثرها ونتاجها بين عملاقين من عصرهما وبيئتهما ، ويمكنك ان تشير الى طه حسين وتوفيق الحكيم كمثل ونموذج وتطبيق لهذه الصداقة الأدبية على الرغم من أن أوجه الاختلاف أكثر من اوجه الاتفاق بين الشخصيتين ، وأسباب الخلاف ابعد من اسبـــاب الالتقاء ، وحجم الدور ونوعيته وتأثيره فى الحياة الأدبية والثقافيـــة يختلف بينهما . ولكن عصراً رائعاً جمعهما هو عصر النصف الأول مـــن القرن العشرين ، ومكانا أروع من العصر نفسه جعلهما يلتقيان ، هو : مصر التى يحار المرء كيف اجتمع لها فى عصر واحد وجيل واحد مـــن اسباب القوة الثقافية والأدبية والفنية ما لم يتوفـــر لهـــا فى عصر من العصور بمثل هذه القوة وهذا الثراء الذى لاتزال نتغنى به حتى الآن ، وان كان البعض يرجعه فيما يرجعه من اسباب الى ثورة ١٩١٩ التى صهرت الشعب المصرى كله نحو أمل واحد ، وهدف واحد ، هو التحرر من قبضة المحتل الانجليزى الجاثم فوق القلوب والصدور حتى استحال هذا الضغط فوق تلك القلوب وتلك الصدور الى قوة أطاحت بكـــل ضغط ، معبرة عن نفسها كاشد ما يكون التعبير فى الثورة على كـــل القيود السياسية والاقتصادية والفنية والأدبية والاجتماعية .

سعد زغلول وصحبه ومن اتى بعدهم يسعون الى التحرر الوطنى .
طلعت حرب يعمل على الاستقلال الاقتصادى .

مختار يعيد مجد النحت المصرى القديم متطلعاً الى « نهضة مصر » مجسدا اياها فى تمثال نابض بالروح لا يزال قائما أمام جامعة القاهرة داعيا الى تجديد تلك النهضة كلما خفت صوتها أو انطفأت جذوتها .

مصطفى كامل الغمراوى يدعــو الى انشاء جــامعة مصريــة فيلبى المصريون النداء .

قاسم امين يدعو الى تحرير المرأة نصف المجتمع فتستجيب هدى شعراوى وصويحباتها ليكون اول خروج للمرأة للمشاركة فى احــداث الوطن من خلال مساهمتها فى ثورة ١٩ .

سيد درويش يؤسس مدرسة مصرية فنية فى الغناء والموســيقى معبرة عن هموم واحلام طوائف الشعب القابعة فى الظل لكى تقوم ملبية نــداء مصر .

لطفى السيد ينادى بمصر للمصريين ويحتضن شباب النهضــة فى (الجريدة) .

العقاد يقف فى البرلمان منددا بالملك اكبر راس فى البلاد غير عابىء بالعواقب .

وعلى عبد الرازق يتصدى لرغبة ملكية فى وراثة الخلافة ، مفندا بطلان تلك الرغبة فى كتابه « الاسلام واصول الحكم » .

طــه حسين يمزق غلاف التقاليد الادبية السميك وينشىء منهجــا جديداً فى النقد والأدب تاسس بكتابه « فى الشعر الجاهلى » ، بينما اعتبر النائب الذى حقق معه وهو « محمد نور » أن قضية طــه حسين قضية تفكير لا قضية تكفير .

توفيق الحكيم يؤسس فن المسرحية فى الأدب العربى .

وفى كل مجالات الحياة حتى الرياضية منها ستجد ان النهضة قــد انعكست على كل مناحى الحياة المصرية، ووجدت صداها فى العالم العربى لتحدث وعيا متناميا مزق العباءة العثمانية التى نام فيها العالم العربى لسنوات طويلة حتى أيقظه منها الأفغانى ، والطهطاوى ، ومحمد عبده ، لتشيع اليقظة بعد ذلك مؤتية ثمارها على مر السنوات التالية لتنتج ثورة

شعبية بصرف النظر عن نتائجها السياسية فقد كانت نتائجها الاقتصادية والثقافية والفنية والأدبية والاجتماعية اعمق اثرا واشد خطراً فى بعث روح الشعب ونهضة الأمـــة .

★ ★ ★

ولكن تظل حيرة المرء قائمة : هل الثورة الشعبية أو مناخ الثورة هو المفتاح الذى فجر كل هذه الطاقات واظهر لنا كل هذه الرموز فى تلك المرحلة ، فيما يعزى الفضل فيه الى ثورة ١٩ ؟

وهل يعنى ذلك انه لا توجد سوى الثورة وسيلة لكى تنهض وتبرز لنا مواهب تلك النهضة ؟ أم هى الصدفة القدرية البحتة التى جمعت فى هذه الفترة من تاريخ مصر ، كل هذه المواهب والعبقريات ليتواكـب ظهورها مع الأمل فى الحرية لتعبر عن نفسها بثورة بدات سياسيـــة وانتهت لتشمل كل ارجاء الحياة على ارض مصر فاستحالت الى حياة غير تلك الحياة التى سبقتها ؟

فى يقينى أن الثورة الشعبية الباحثة عن هدف نبيل هو التحرر من كل صنوف القهر والطغيان ، قد تكون سببا من الأسباب ، ولكنها حتما لن تكون السبب الذى يعزى اليه كل الأسباب .

ولكنه المناخ الملائم الذى يرعى الموهبة ويدفع بها الى النمو والنضج هو السبب بل هو أكثر الأسباب قبولا فى المساعدة على ظهور المواهب ، والا فقل لى لماذا لم يظهر مجدى يعقوب وذهنى فراج (نابغتا الطب) ، وفاروق الباز (نابغة علوم الفضاء) وغيرهم كثير فى مجالات كثيرة) فى بيئة غير بيئتهم ومناخ غير المناخ الذى ظهروا ونشأوا فيه .

لا شك أن هناك خللا ما فى منظومة حياتنا قد أودى بالعشرات مـــن تلك المواهب الا من ساعدته قدراته على الافلات الى حيث يجد البيئـــة الصالحة والمناخ الصالح لنموه ونبوغه وظهوره .

وأجدنى ألخص كل العوامل التى تحول دون ظهور مواهب متعددة فى شتى مجالات حياتنا (التى لا شك أنها تقدمت ثقافة وتعليما ووعيـــا

فى نهاية القرن العشرين عما كانت عليه فى بداياته) فى كلمة واحدة هى « الأنانية » والا فقل لى اى كلمة اخرى اكثر تعبيراً عن هذا الفقر فى المواهب الذى طبع حياتنا التى لا شك انها حياة اغنى واقدر واخصب عما كانت عليه فى مطالع القرن العشرين الذى كانت علامته وشعاره وماركته المسجلة البغيضة (الفقر . الجهل . المرض) .

فاين نحن الآن من هذا الثالوث اللعين تفسيراً لغياب المواهب ، الا ان تكون حياتنا قد استبدلت بهذا الثالوث غير المقدس شيئا اقبح واسوأ منه الا وهو (الأنانية) التى تجعل كل من كان فى موقعه حريصا على الاستئثار بهذا الموقع مدى الحياة غير متيح الفرصة لآخرين يخلفونه ويتدربون على ممارسة مسئولياته ، كانه سيعيش ابداً ، مما جعل المسئولين يعتقدون بالفعل الا مواهب غير تلك المواهب التى يمثلونها ، وأن ما بعدهم خراب ودمار وانهيار ، مما حركهم ليسنوا قوانينا فى المجالس التشريعية يبيح المد ، اعواما اخرى فوق الستين التى حددتها القوانين لنهاية مدة الخدمة ، وراح نواب الشعب يبررون قلة حيلتهم امام اصدار هذا القانون لعدم وجود اجيال اخرى على نفس الدرجة من الكفاءة والموهبة !!!

لقد بحثوا عن الحل المؤقت ، وقوانين تسكين المشكلة دون ان يبحثوا عن اسباب المشكلة نفسها ، ودون ان يسالوا عمن يكون السبب فى عدم ظهور جيل جديد كفء قادر على تحمل المسئولية .

وهل بعد تدشين المشكلة وتقنينها يمكن لاى مسئول فى اى موقع انتاج ، او صحافة او ثقافة ان يسمح بظهور شاب له من المواهب والكفاءات ما يؤهله لكى يحل مكانه ؟

لقد كان جيل الرواد كباراً فى نفوسهم ، وكباراً فى مواهبهم ، ولذلك كانت سعادتهم بالغة حينما يرون أجيالا اخرى لديها الموهبة والقدرة والاستعداد فيؤهلونها لكى تأخذ مكانها وتبلغ مكانتها .

لقد كان السقف عاليا يسمح لمن لديهم القدرة على النمو والنبوغ بأن يكبروا ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، كل حسب قدراته ومواهبه.

وكان هؤلاء الرواد كباراً لا يقلقهم ان يكبر الآخرون ، ولا يزعجهم أن ترتفع قامة اجيال جديدة ، لأن نفوسهم كبيرة ومواهبهم كبيرة ، ونفوسهم خالية من الأنانية التى هبطت بسقف حياتنا المعاصرة حتى اصبح فى حكم المستحيل ان تنمو موهبة موهوب ، لأن الأقزام ، حوله لا تطيق الا ان ترى نفسها هى صاحبة الوجود الذى لا وجود ينافسه ، حتى لو كان وجود الأقزام « هلاميا » وموهبتهم « زائفة » وكفاءتهم وهمية ، « فالأقزام » لا تحب الا ان يكون من حولها « اقزاما » مثلها بل اقل منها حتى لا يبدو فى الصورة غيرهم ، ولا يظهر على الشاشة سواهم ، فيشيعون جواً من الاحباط حولهم ، وييئسون الأجيال من بعدهم ، فتموت فيهم روح الموهبة ، وتقتل فى نفوسهم اى قدرة على الابداع ، ليصير الجميع « موظفون » لخدمة لقمة العيش ، فلا مكان لموهوب ، ولا مكان لموهبة الا تحت الثرى لا فوق الثريا ، فليحتفظ الموهوب بموهبته لنفسه ، لا حاجة لنا بها ، خذ مكانك فى وظيفتك حسب مؤهلك ودورك ، واذا لم تكن تجيد صناعة النفاق والزلفى لرؤسائك فسوف يضيع حقك وتحرم منه ويسبقك اليه أهل الحظوة والقربى وحملة المباخر ، وما سحى الجوخ واهل النفاق ، واذا تجرأت مطالبا بحقك فانت مشاغب معوق للعمل ، وحاقد ولا بد من عقابك ، واذا كنت متمردا لا تقبل الظلم ولا تستكين الى الضيم وتأبى مصاحبة الرضى بالمكتوب والمقدر ، تصبراً بواقع الحال ، ولجأت الى حصن العدالة وميزان القضاء ، فليطل الله فى عمرك وليطل فى عمر ورثتك !

★ ★ ★

ليست هذه دعوة لليأس ، ولا اشاعة للاحباط ، والا فليقل لى من يتهمنى بذلك ، وليجبنى :

هل نضبت حياتنا من المواهب وخلت من الكفاءات الى هذا الحد المجدب المقفر كما هو ظاهر لنا ؟

والا فليقل لى قائل وليجبنى أن استطاع :

هل يوجد فى مجالنا الذى يهمنا الآن من يفتح ابواب صحيفة يديرها لشباب موهوب كما فعل لطفى السيد فى (الجريدة) مع طه حسين ، ومحمد حسين هيكل ، وغيرهما ؟

وهل يوجد مثل الزيات فى (الرسالة) يتلقى ابداعات الشباب فينحى اسماءهم جانبا ليكون الحكم على الابداع من الابداع نفسه لا من اسم صاحبه وشهرته حتى لو كانت شهرة فارغة مما يوصم به مجتمعنا الأدبى ، وحياتنا الثقافية ، الآن ، التى عرفت « الشللية » طريقها اليها ، وما كان الابداع ، وما كانت الثقافة ، ولا كان الأدب قبل الآن يعرفها .

وهل كان يمكن لأسماء كطه حسين ، والعقاد ، وتوفيق الحكيم، ان تظهر فى مناخ كمناخنا هذا ، وان تبرز فى بيئة كبيئتنا هذه ؟

لا يقل أحدكم أن الزمن قد تغير ، وأن الظروف قد صارت غير تلك الظروف ، فالظروف الآن افضل ، والزمان الآن افضل ، فلا تعيبوا الظروف ، ولا تعيبوا الزمان ، فالعيب فينا ، وما لزماننا عيب سوانا ، والا فدلونى الآن على واحد من الأدباء يبتهج بظهور اديب جديد ويسعد به ويقدمه للناس ويساهم فى شهرته ؟

لقد وجدنا هذا يحدث فى زمن خلا من الشللية والأنانية ، فظهر الأديب الشاب « توفيق الحكيم » بقصته « أهل الكهف » ، بل لقد ظهرت القصة دون ان يظهر صاحبها لأنه كان لا يزال يعمل وكيلا للنيابة « بدمنهور » فى مطلع الثلاثينيات ، لتحدث القصة دويها الذى لم يكن يتوقعه صاحبها نفسه ، فيكتب الشيخ مصطفى عبد الرازق فى جريدة « السياسة » مثنياً على « أهل الكهف » وما فيها من خيال موفق ، وفكر مستقيم ، وذوق مستقيم .

وكتب « المازنى » فى صحيفة « البلاغ » منوها ، ثم ساخراً فى محاضرة ادبية :

ان مؤلف « أهل الكهف » هو نفسه من « أهل الكهف » ، لأنه لم يكن قد ظهر بعد بشخصه فى المجتمع الأدبى .

وتناول « العقـــاد » « أهل الكهف » باهتمام وتقريظ .

وتوالى كبار الكتاب يحتفون « بأهل كهف الحكيم » الذى عومــل بسببها معاملة كبار الكتاب فى مجلــة « الرســـالة » ، غير أن كلمـــة طـــه حسين كانت هى القول الفصل الذى دشن لتوفيق الحكيم شهرته، ووضعه فى مكانه الصحيح باعتباره فاتحا لباب جديد فى الأدب العربى ، وباعتبار « أهل الكهف » فتحا للكتاب فى باب التمثيلية الادبية .

ومنذ ذلك الحين نشأت بين الأديبين علاقة وصداقة قلما نجد لهـــا نظيراً الآن الا لارتباط المصالح والمنافع المتبادلة من باب اذا كتبت عنى ساكتب عنك ، واذا كتبت عنك فما هو حجم الفائدة التى ساجنيها من ورائك ، وما هى قيمة النفع الذى ساحققه من ورائك معنويا او ادبيـــا أو ماديا ، وما دخل فى باب الاستثناء عن تلك القاعدة انما يؤكد القاعدة ولا ينفيهـــا .



ويحلو لنا فى ظل هذا المناخ غير الصحى السائد ان نعود لنتذكر مناخاً آخر فى مطالع هذا القرن وبواكير عقوده الأولى لنتعرف على طرف من اجواء ذلك المناخ الصحى فى علاقة الأدباء ببعضهم ، وسيكون اختيارنا لهذه العلاقة الأدبية من خلال طـــه حسين وتوفيق الحكيم رغم ما شاب تلك العلاقة من تنافس أحيانا ، وغيرة احيانا اخرى ، وغضب وفتور احيانا ثالثة .

غير أن كل ذلك قد سقط فى حساب التاريخ لتظل مدلولات تلـــك العلاقة وتلك الصداقة لتعطيها التغيرات البشرية طعم ولــون تلـــك العلاقات الانسانية التى لا تخلو منها اى علاقة بشرية لا تدوم على حالة واحدة ، ولا تسير على وتيرة منتظمة ، ولكن تبقى العلاقة الادبية هى أغنى تلك العلاقات الانسانية واثراها واكثرها دلالة على العصر والبيئة والتاريخ .

★ ★ ★

ولنعد الآن الى مطالع هذا القرن لنتعرف على موقــع طــه حسين وتوفيق الحكيم من عصرهما .

كان طــه حسين اسبق فى الميلاد واسبق فى الظهور واســبق فى الاثر الادبى ، واسبق الى اشهار شهرة قرينــه فى الأدب « توفيــق الحــكيم » .

وعلى الرغم مما بين الاديبين من اوجه الاختلاف الا أن اجتماعهما على حب الأدب قد وفق بينهما فتصــادقا وتراســلا وأنشــأ « القصر المسحور » بعد ان انشا كلا منهما لنفسه مكاناً راسخاً فى الضمير الأدبى.

لقد ولد طــه حسين فى ١٤ نوفمبر ١٨٨٩ م بعزبة الكيلو ، مركز مغاغة بمحافظة المنيا بصعيد مصر .

أما توفيق الحكيم فقد لحق به بعد هذا التاريخ بحوالى تســع سنوات ولكن فى الوجه البحرى حيث ولد فى ٩ اكتوبر ١٨٩٨ م بمحافظة الاسكندرية .

واذا كان طــه حسين قد فقد بصره تماما على يد حلاق القريــة ، فان الحلاق كان هو نفسه الذى أنقذ العين اليمنى لتوفيق الحكيم التى كانت مهددة بفقدان البصر ، واذا كان اهل طــه قد اهملوا الطبيب واطلقوا اليد للحلاق فى علاج عينى ابنهم ، فان أهل الحكيم قــد ذهبوا بابنهم الى الطبيب الذى يئس من علاج الرمد الصديدى فنصحهم بالاعتماد على الحلاق ليفصد له دما ، فجاءوا « بعلى النوام » الذى سهر على عين الحكيم يغسلها له بالمطهرات حتى زال الخطر .

فكان حلاق « الحكيم » سببا فى انقاذ عينيه ، وكان حلاق « طــه » سببا فى ضياع آخر أمل فى انقاذ عينيه فأفقدهما آخر بصيص من النور . واذا كان طــه حسين قد ثار على الأزهر وعلومه الجامدة وشيوخــه التقليديين حتى وجد فى الجامعة مبتغاه ومطلبه ، فان الحكيم قــد ثار على دراسة القانون ودكتوراه القانون .

وبينما عاد طــه من باريس حاملا الدكتوراه فى الآداب ، فقد عاد توفيق الحكيم من باريس حاملا صناديق من الخشب مملوءة بكتب الفن والادب والثقافة ليلبس أهله الهم والغم والأسى وهم من حوله يتهامسون :

ياخيبتنا . ياخيبتنا .

وذلك بعد أن فشل ابنهم فى الحصول على دكتوراه القانون التى أرسله والده الى العاصمة الفرنسية للحصول عليها ، أما طــه فقد اراد أن يدرس القانون الى جانب دراسته للآداب وما أكثر ما لام نفســه وشق عليها فى اللوم لأنه لم يتم ما حاول من دراسة القانون ، ولكنه عاد على أية حال ليستقبله المجتمع وتستقبله الجامعة فرحــة مبتهجــة باستقباله أجمل استقبال كأول ابن من أبنائها يحصل على الدكتوراه .

★ ★ ★

فى باريس كان طــه حسين يسكن الحى اللاتينى ، حى الجامعة .

وفى باريس أيضا كان توفيق الحكيم يسكن ولكن فى حى « مونمارتر» وهو حى رجـــال الفن .

كان طــه محبا للعلم والتحصيل والتفوق فى الدراسة والحصول على أرقى الشهادات الأكاديمية .

بينما كان الحكيم نافرا من الدراسة ، ينجح كيفما يستطيع النجاح ويتخرج كما يستطيع أن يتخرج ، ولهذا عندمـــا ذهب الى احـــدى المحاضرات(*) فى « السوربون » ووجد المحاضر يحاضر فى تعمق فى دراسة « موليير » ، فخرج من عنده ولم يعد ثانية ، فلم يكن يهمه تاريخــه ونشأته ولكن كان يهمه عمله .

كان طــه أيام شبابه يــكره أن يشغـــل بشىء غير الجـــد ، أما الحكيم فكان يشغل نفسه بفرقة عكاشة التمثيلية وما يمرن به نفسه يمدها به ، هما حدد طريقه وحدد خطاه مما لم يستطع الى الافلات منه

(★) من حوار الحكيم لمأمون غريب فى آخر ساعة ١٩٨٥/١/١٦ م .

سبيلا رغم محاولة والده أن يبعده عن ذلك المناخ بدراسة القانون فى باريس عله يسلك بعد عودته طريق والده فى القضاء ، فاذا بالحكيم بدلا من أن يبعد عن مناخ الفن اذا بــه يقترب من بيئة للفن أكثر خصوبــة واتساعا وثراء فوجد فيها نفسه ليعود مشبعا بالفن وأكثر أستعدادا ليكون فنانا ، وان كان قد عمل بعض الوقت وكيلا للنيابة ارضاءا لوالده الذى خاب أمله فى حصول ابنه على دكتوراه القانون ، الا أن فن الكتابة المسرحية لم يفارقه طوال الوقت ، فهو كما وصفه طــه حسين (فى تقديمه للمجمع اللغوى) يؤدى واجبات وظيفته ليخلص من اداء هذا الواجب وليعفى من التقصير ، ولكنه يمنحها أيسر ما عنده ، محتفظاً بخير ما عنده لهذا الفن الذى استأثر به .

★ ★ ★

كان طــه حسين جسراً للثقافة بين الشرق والغرب فيما نقل الينا من ثقافات اليونانيين وثقافات الأوربيين ، وكان صاحب أسلوب ممتع سهل كالمنفلوطى ، اديبا مبدعا وناقداً للأدب بروح المبدع لا بروح الناقد ــ كما وصفه الحكيم (*) ــ ولذلك كان الحب والكره يدخل فى تقييمه لمن ينقدهم وليس أدل على ذلك من تقديمه لحافظ على شوقى حين تعرض لهما فى كتابه (حافظ وشوقى) .

وكان الحكيم فنانا مبدعا عرف الفن وتذوقه ، من اتصاله بالفنانين منذ صباه حين عرف عالم عوالم الفرح ثم صادق الفنانين فى شبابه ، مما لم يتح لطــه حسين بسبب ظروفه الخاصة فلم يستطع أن يتذوق الفن الا عن طريق وسيلته فى الدرس والقراءة والتحصيل ، ولكن فضل طه حسين انه كان رائداً من رواد النهضة الأدبية والنقدية بــل هــو مؤسسها فيما غير به مناهج النقد بثورته (فى الشعر الجاهلى) ، كما كان رائداً من رواد العلم والثقافة والتنوير .

وكان توفيق الحكيم مؤسساً لفن المسرح التمثيلى كباب من أبواب الأدب اضافة للأدب العربى ، فكان رائده الذى احيا به المسرح وأنواره بعد أن كان قد مات وانطفأت أضواؤه أو كادت ، حين عاد من باريس ،

(★) المصدر السابق .

لتعود بعودته أضواء المسرح الى الظهور كفن محترم فى باب الأدب وفى باب التمثيل ، تقبل شهادة أصحابه باعتبارهم فنانين محترمين لا مشخصاتية ، كما كانوا يوصمون ويوصفون به .

★ ★ ★

لقد استطاع طه حسين أن يحفر لنفسه مكانا مرموقا بين أدباء عصره ، قبل ان يحفر توفيق الحكيم لنفسه مكانا مرموقا أيضا بين هؤلاء الادباء كأديب فنان ، حتى أن الحكيم كان قد سمع باسم طه حسين قبل أن يسافر الى باريس فى مهمته الفاشلة للحصول على دكتوراه القانون .

يقول فى سيرته الذاتية (سجن العمر) :

بلغ مسمعى أن شابا أزهريا مكفوفا نابغاً يهاجم بمقالاته العنيفة علماء الأزهر المتجمدين دون أن يخطر لى على بال أنه بعد نحو عشرة أعوام ستنشأ بينى وبين هذا الأزهرى النابغة صداقة . وسنمرح معا على جبال الألب ونسجل معا مرحنا فى كتاب » .

أما كيف بدأت صداقة طه حسين وتوفيق الحكيم ؟ فان الحكيم قد تجاهل هذه البدايات فى سيرته الذاتية ، ولم يشأ طه أن يتحدث عنها ولكنه علق على ذلك فى معرض تقديمه وعرضه لتلك السيرة قائلا : (*)

« وأنا أشكر للكاتب اشارته الى وذكره أننا صرنا صديقين ، ولكنى لا أدرى لماذا لم يبين كيف صرنا الى الصداقة ، ومن يدرى لعل ذلك لأن طبعه أكبر من موهبته ومن جهده ومن أمله معًا » .

وكان طه حسين يشير بذلك الى ما يقوله الحكيم عن نفسه من أن « أمله أكبر من موهبته ، وأن موهبته سجينة طبعه الذى ورث أكثره عن أبويه » .

(★) أخبار اليوم ٣٠ يناير ١٩٦٥ .

فيرد عليه طـــه « ان امل كل كاتب أكبر من جهده ، وان هذه هى مزية الكاتب الجديد بهذه الصفة ، كما انها مزية الشـاعر الممتاز والفنان البارع بوجه علم ، وويل للأديب الذى يكون أمله على قدر جهده ، فهذا الرجل ليس من الأدب الحق فى شىء ، وانما هو الأديب المتـــكلف ، والمتكلف لما لا يحسـن ولما لم يخلق له » .



اما كيف بدأت صداقة الأديبين الكبيرين ، وامتدت الى ما وصلت اليه ؟ فهذا ما سنحاول الاجابة عليه فى الفصول التالية مستعينين فى ذلك بما بين ايدينا من بعض الوثائق .

طه حسين يحتفي بأهل الكهف
وتوفيق الحكيم يهرب منها!

«... لم أتردد في إعلان أسفي،
لأن الأستاذ توفيق الحكيم لم يكن
حاضرًا (....) ولكن أنبئت أنه
قد آثر الفرار من هذه الموقعة التي
كانت بينه وبين جمهور النظارة..»

طه حسين

(١)

فى نهاية تعليق طــه حسين على السيرة الذاتية لتوفيق الحكيم « سجن العمر » الذى صدر عام ١٩٦٤ ، سوف نكتشف سر المشكلة بينهما والتى بدات ظاهريا بعد اصدار الحكيم لرائعته « أهل الكهف » ١٩٣٣ ، يقول طه حسين موجها حديثه الى توفيق الحكيم فى لهجة تحمل الكثير من السخرية والعتاب (*) :

« وإنا على كل حال أهدى الى الكاتب الصديق تهنئة خالصة وشكراً جميلا لأنه تفضل فلم يرسل لى كتابا من كتبه منذ سنين ، فله الشكر ، وان كنت أرجو ان ياذن لى فى أن آخذ شيئا من هذا الشكر لاهديه الى الصديق الكريم الذى اعارنى هذا الكتاب !! ».

★ ★ ★

فرغم صداقة الأديبين الكبيرين الا أن الحكيم لم يهد طــه كتــابه « سجن العمر » ومع ان ذلك كان يقتضى من طــه أن يتجاهل الحكيم وكتابه الا ان طــه قد حصل على الكتاب وعلق عليه محبا ومحتفياً ، وهذا يبين احدى صفات طــه حسين عميــد الأدب العــربى المحب للموهوبين ، الحريص على تقديمهم والاحتفاء بهم سواء رغبوا فى ذلــك ام لم يرغبوا ، ومن ذاك الذى لا يرغب الا « توفيق الحكيم » الذى كان لا يرغب أو يبدى انه لا يرغب أو يزعم انه كذلك ، أو كما وصفه طــه

(*) السابق .

حسين بأنه « مصنوع متكلف ، متعمل ، بعيد كل البعد عن الحياة الطبيعية المألوفة ، والناس يعرفون منك صورة ليس بينها وبين شخصك الحقيقى صلة من قريب او بعيد » .

هكذا خاطب طـه حسين ، توفيق الحكيم ، بوضوح لا يعرف التكلف او التصنع حين قدمه لمجمع اللغة العربية ، وهى سنة استنها العميد وصارت تقليداً من تقاليد المجمع ، وهى تتفق مع سيرته فى تقديم الموهوبين والاحتفاء بهم سواء كانوا مجهولين فى بداية ظهورهم أو متألقين بعد أن صاروا نجوماً .

وحين ظهرت « أهل الكهف » التى طبعها توفيق الحكيم على حسابه أحدثت دويها ، وعلق عليها كبار الكتاب ما عدا طـه حسين الذى لم يكن قد ظهر بعد ليدلى بدلوه فى «أهل الكهف» .

فلماذا كان صمته ثم لماذا كان تعليقه وترحيبه الذى فاق كل تعليق وكل ترحيب ؟

الاجابة يقدمها لنا توفيق الحكيم نفسه فى كتابه « وثائق من كواليس الادباء » ، فيقول :

« كل ذلك وطـه حسين ساكت متربص ، وفى ذات يوم بادرنى صديقى المرحوم الدكتور « حلمى بهجت بدوى » ، وكان يومئذ من اعضاء هيئة التدريس بكلية الحقوق ، بقوله : ان الدكتور طـه حسين الذى كان يزامله فى مجلس ادارة الكلية (كانت الآداب والحقوق آنذاك يجمعهما مجلس ادارة واحد) قال له : ساكتب عن صديقك وسيكون لى معه حساب عسير !

فقلت لحلمى : ارجوك ابعد عنى هذا الرجل .. الكتاب الآن قد كتب عنه بما فيه الكفاية ، والمطبوع من الكتاب قد نفذ .

ولكنه لم يتمكن من صرف طـه حسين من الكتابة . واذا بمجلة « الرسالة » التى كان يحرر فيها طـه حسين باب نقد الكتب تظهر فى

منتصف شهر مايو وفيها مقال متحمس عن كتابين معاً . الكتاب الأول : رواية باللغة الفرنسية لأديبة لبنانية اسـمها « ايمى خـير » بعنوان « سلمى وقريتها » ، والكتاب الثانى باللغة العربية وهو « أهل الكهف » واستهل مقاله بقوله : انه يتمنى للكتاب الأول أن يترجم الى العربية ، والثانى الى الفرنسية ، ثم كتب يقول :

أما قصة « أهل الكهف » فحادث ذو خطر لا أقـول فى الأدب العربى العصرى وحده بل أقول فى الأدب العربى كله ، وأقول هذا فى غير تحفظ ولا احتياط ، وأقول هذا مغتبطا به ، مبتهجا له ، وأى محب للأدب العربى يغتبط ويبتهج حين يستطيع أن يقول وهو واثق بما يقول أن فناً جديداً قد نشأ فيه ، واضيف اليه ، وأن بابا جديدا قد فتح للكتاب (يقصد باب التمثيلية الأدبية) وأصبحوا قادرين أن يلجوه وينتهوا منه الى آماد بعيدة رفيعة ما كـنـا نقـدر أنهم يستطيعون أن يفكروا فيها الآن » .

أما الحساب العسير الذى وعد به طـه ، الحكيم ، فكان عبارة عن غلطة نحوية ، قال عنها الحكيم : لعلها كانت مطبعية !

★ ★ ★

وكان من الطبيعى أن يغتبط توفيق الحكيم بهذا الاطـراء وذلـك التقريظ ، شاكراً لطـه حسين أنه وثق له شهادة ميلاده كاديب فى دنيا الأدباء ، الا أن الحكيم فاجأ طـه بانكار الفضـل الذى نسـبه اليه كمؤسس للتمثيلية الأدبية ، واختلف معه حول أن يكون هو صـاحب الفضل فى فتح هذا الباب فى الأدب العربى كله ، وعاد بالفضل فى ذلك الى أديب أدباء العربية الكبير « الجاحظ » .

يقول الحكيم (*) : « وجدت عنده كلاما كالحوار التمثيلى ، لم أر مثله حتى فى كتاب « الأغانى » من حيث الشكل والتصوير العاطفى ، وقـد بدا لى وتتذاك — أوائل الثلاثينيات — أن أنقل هذا الحوار على شكل « منظر صغير » جعلت عنوانه « الفراق » ولم أمسه بأى تغيير فى الألفاظ والمعانى والشخصيات حتى يبقى الفضـل « للجاحـظ » وللأدب

(★) حديث الثلاثاء — الأهرام ١٩٨٥/١/٢٢ .

العربى .. وفى الحق انه حوار يذكر بحوار أديب فرنسى رشيق جاء بعد « الجاحظ » بعدة قرون هو « ألفريد دى موسيه » فى كوميدياته وأمثاله ..

وعناصر كل نوع من أنواع الأدب والفكر موجودة فيما يبدو لى عند العرب من قديم .. فلماذا لا نستخرج هذه العناصر ونصنفها ونبوبها ؟ لماذا لا نضع مثلا كل حوار من هذا الطراز فى الشكل التمثيلى على قدر المستطاع كما حاولت فى هذه القطعة ، ونجمع ذلك على أنه نمـــاذج تمثيلية من تراثنا فى الأدب العربى ، أو على الأقل باعتبار هذا العمل اعادة الشباب الى الأدب القديم بالباسه حلة جديدة دون أى تغيير فى اللب والجوهر والشخصية ، محافظة على ذلك الأدب القديم .. اذا صح هذا فان مجال العمل فى تراثنا الأدبى متسع ولن تفرغ منه أجيال قادمة .. اذا اتجه اهتمام الجامعات الى هذا فى مرحلة الدكتوراة بدلا من الاتجاه الى موضوعات عصرية متصلة بأشخاص أحياء فيما يشبه ريبورتاجات الصحف ، مما فصل حاضرنا عن ماضينا .. وأصبحـــت آدابنا المعاصرة كالأبناء اللقيطة ليس لها نسب متصل .

واليكم حـــوار الجاحظ :

الفـــــــراق

« المنظر : باب دار كبيرة ، تقف خلف هذا الباب جارية حسناء كأنهـــا قضيب يتثنى ، وهى والهة حيرى واقفة فى الدهليز .. ويقترب من الباب شيخ ، يراها ويسلم عليها فترد السلام ، بلسان منكسر وقلب حزين .

● الشيخ : يا سيدتى ! انى شيخ غريب أصابنى عطش ، فأمرى لى بشربة من ماء تؤجرى .

ــ الجارية : اليك عنى يا شيخ ، فانى مشغولة عن سقى الماء وادخار الأجر .

● الشيخ : يا سيدتى لأية علة ؟

— الجارية : لأنى عاشقة من لا ينصفنى ، واريد من لا يريدنى .

● الشيخ : يا سيدتى ، هل على بسيط الارض من تريدينه ولا يريدك ؟!

— الجارية : انه لعمرىعلى ذلك الفضل الذى ركب فيه من الجمـــال والدلال .

● الشيخ : يا سيدتى ، فما وقوفك فى الدهليز ؟

— الجارية : هو طريقه .. وهذا أوان اجتيازه .

● الشيخ : يا سيدتى ، هل اجتمعتما فى خلوة فى وقت من الأوقات ، أم حب مستحدث ؟

— الجارية : (تسيل دموعها على خديها كطل على ورد وتنشد :
وكنا كغصنى بانة وسط روضة

نشم جنا اللذات فى عيشـــة رغـــد
فأفرد هذا الغصن من ذاك قاطع
فيامن رأى فرداً يحن الى فرد

● الشيخ : يا هذه ، ما بلغ من عشقك هذا الفتى ؟

— الجارية : ارى الشمس على حائطه أحسن منها على حائط غيره ، وربما اراه بغتة فأبهت وتهرب الروح من جسدى ، وأبقى الأسبوع والأسبوعين بغير عقل .

● الشيخ : عزيز على ، وانت على ما بك من الضنى ، وشغل القلب بالهوى ، وانحلال الجسم ، وضعف القوى ، ما ارى بك مـــن صفاء اللون ورقة البشرة .. فكيف لو لم يكن بك من الهوى شىء ؟ اراك كنت مفتنة فى ارض البصرة .

— الجارية : كنت والله يا شيخ قبل محبتى لهذا الغلام تحفـــة الدلال والجمال والكمال ، ولقد فتنت جميع ملوك البصرة وفتننى هـــذا الغـــلام .

● الشيخ : يا هذه .. وما الذى فرق بينكما ؟

— الجارية : نوائب الدهر وأوابد الحدثان ، ولحديثى وحديثه شـــأن الشأن .. وانبئك أمرى : انى كنت اقتصـــدت فى بعض ايـــام النيروز ، فأمرت فزين لى وله مجلس بأنواع الفـــرش واوانى الذهب ، ونضدتا الرياحين والشقائق والمنثور وانواع البهار .. وكنت دعوت لحبيبى عدة من مستظرفات البصرة فيهـــن مـــن الجوارى جارية « شهران » ، وكان شراؤها من مدينة عمان ، ثمانمائة الف درهم ، وكانت الجارية قد ولعت بى ، وكانت اول من اجابت الدعوة وجاءتنى منهن ، فلما حصلت عنـــدى رمت بنفسها على تقضمنى عضا وقرصاً .. فبينما نحن كذلك اذ دخل على حبيبى ، فلما نظر الينا اشماز لذلك وصرف عنى وعنهـــا صدوف المهرة العربية اذا سمعت صلاصل اللجم ، وعض على انامله وولى خارجاً ، فانا يا شيخ منذ ثلاث سنين اسل سخيمته، واستعطفه فلا ينظر الى بعين ، ولا يكتب الى بحرف ، ولا يكلم لى رسولا .

● الشيخ : يا هذه .. افمن العرب هو أم من العجم ؟

— الجارية : هو من جلة ملوك البصرة .

● الشيخ : من أولاد نيابها أم من أولاد تجارها ؟

— الجارية : من عظيم ملوكها .

● الشيخ : اشيخ هو ام شاب ؟

— الجارية : انك لأحمق .. اقول هو مثل القمر فى ليلة البدر ، أمرد أجرد وطرة رقعاء كحنك الغراب ، تعلوه شقرة فى بياض ، عطر

اللباس ، ضارب بالسيف طاعن بالرمح ، لاعب بالنرد والشطرنج، ضارب بالعود والطنبور ، يغن وينقر على أعدل وزن ، لا يعيبه شيء سوى انحرافه عنى ، لا نقصاً لى منه بل حقداً لما رآنى عليه .

● الشيخ : يا هذه .. وكيف صبرك عليه ؟

ـ الجارية حالى معه حال القائل :

أما النهار فمستهام واله
وجفون عينى ساجفات تدمع
والليل قد أرعى النجوم مفكراً
حتى الصباح ومقلتى لا تهجع
كيف اصطبارى عن غزال شادن
فى لحظة عينية سهام تصرع

● الشيخ : يا سيدتى ، ما اسمه وأين يكون ؟

ـ الجارية : تصنع به ماذا ؟

● الشيخ : اجهد فى لقائه واتعرف الفضل بينكما فى الحال .

ـ الجارية : على شريطة : تلقانا اذا لقيته ، وتحمل لنا اليه رقعة .

● الشيخ : لا اكره ذلك .

ـ الجارية : هو ضمرة بن المغيرة بن المهلب بن أبى صفسرة ، يكنى بأبى شجاع ، وقصره فى المربد الاعلى ، وهو اشهر من ان يخفى .. « تنادى » : يا جوارى دواة وقرطاساً .

● الشيخ : يا سيدتى وجب حقك على .. ولزمتك حرمتى لطول وقوفى عليك ، وكنت قد سألت شربة ماء .

ـ الجارية : استغفر الله .. ما فهمنا عنك . « تصيح فى الدار » : اخرجوا الينا شراباً من ماء وغير ماء .. (تقبل وصيفتان تحملان الدواة والقرطاس فتشمر « الجارية » عن ساعدين كانهما طومارا فضة ثم تحمل القلم وتكتب الرقعة .. ثم تقبل ثلاثون وصيفة بأيديهن الكؤوس والجامات والأقداح مملوءة ماء وثلجا ونقاعا وشرابا .. (فيشرب الشيخ) .

● الشيخ : يا سيدتى .. مع قدرتك على هذا من استواء الحال وكثرة الخدم والعبيد والجوارى ، فلم لا تامرين احدى الجوارى أن تقف مراعية للغلام حتى اذا مر أعلمتك فتخرجين اليه .

ـ الجارية : لا تغلط يا شيخ !

ويفهم الشيخ مرادها ، ويطرق خجلا من هفوته .

وينتهى المنظر .

★ ★ ★

ويقول توفيق الحكيم انه كان فى مقدوره أن يجعل منه فصلا كبيراً ، ولكنه قصد قصداً أن يبقيه على اصله وبلغته كما صدر عن الجاحظ .

وعندما عرف طـه حسين رأى الحكيم ، ورفضه أن يكون هـو صاحب فضل فى الحوار التمثيلى ، وانما الفضل كل الفضل للجاحظ ، سخر طـه حسين منه وقال له :

« اتزعم أن « الجاحظ »
عرف التمثيل وحواره » !!

★ ★ ★

وظل الحكيم على رايه الى ان مات ، وهو مقتنع اشد الاقتناع بأن تراثنا العربى غنى وعظيم والحمد لله .

اما طـه حسين فظل هو الآخر على قناعته بأن توفيق الحكيم هو صاحب الفضل الأول فى ميلاد فن الأدب التمثيلى فى الأدب العربى كله ،

واعاد على مسامعه هذا الرأى وهو يستقبله فى مجمع اللغة العربيـــة سنة ١٩٥٤ حين قال (*) :

« لاول مرة اذن ظهر بيننا كاتب يحاول ان ينشىء فن التمثيل باللغة العربية ، لا يترجم ولا يقلد فيه ، ولا يتكلف فيه ما كان يتكلف الكتاب الذين كانوا يحاولون أن ينتجوا فى التمثيل ، وانما يقبل عليه كانه خلق له منذ خلق ، ويتصرف فيه كانما خلق ليتصرف فيه . وليكون كاتبا ممثلا لا يظهر التكلف فى حرف من حروف هذه القصة ، وانما هى تاتى يسيرة سهلة كانما أوحيت اليك (مخاطبا الحكيم) او كانما ألهمتها الهاما ، وكأنما ارغمت على ان تكتب فكتبت ، وكانما كنت اداة تتلقى وتنتج. وتؤدى ما تتلقى فتحسن الأداء ، وكأن معنى هذا كله أنـك كنت كـاتبا ممثلا مطبوعا . فقصة اهل الكهف هذه التى نقرؤها فلا نكاد نمضى فيها حتى يأخذنا الاعجاب ، ثم يأخذنا الامتاع ثم نشغل بها عن غيرها ، ثم نشغل بها عن كاتبها ، ثم لا نشغل بها عن غير كاتبها بشىء غيرها حتى نفرغ منها .

(.........) انت كاتب نابه ، بل انت كاتب نابغه ما فى ذلك شك ، قد اجتمع الناس على اكبار فنك ، واجتمع على اكبار فنك النقاد منهم وغير النقاد ، واجتمع على اكبار فنك الذين يلتمسون الظهر فى الساعة الرابعة عشرة من النقاد مثلى (.......) وقد اجتمع العرب كلهم على اكبار فنك والاعجاب به ، وقد تجاوزت — لا أقول — حـدود وطنك — بل حدود العالم العربى » .

★ ★ ★

ولم يقف الخلاف بين طـه حسين ، وتوفيق الحكيم حول حـدود من يكون له الفضل فى انشاء فن الأدب التمثيلى فى اللغة العربية ، بـل تعداه الى سوء فهم بسبب وشاية صديق للحكيم جاءه مبادراً بسؤاله سؤالا استنكاريا :

هل قرأت مقال طـه حسين عن كتابك ؟!

(★) جلسة المجمع فى ١٧ مايو .

ولم يتح هذا الواشى للحكيم أن يجيب أو يتحدث فى الأمر ، وبادر يقول : ان طـه حسين خبيث وان بين سطوره سمو ما خفية .

ولما كان الجو حاراً والأعصاب متوترة ، فقد اثار هـذا الواشى انفعال الحكيم ، وأمسك فى الحال بالقلم وارسل الى طـه حسـين خطابا فظاً ما كاد يقرأ عليه حتى صاح فيمن حوله :

سبحان الله .. لقد نشرت مقالا عن الكتاب الذى صـدر لتوفيق الحكيم ليس فيه غير الاعجاب فرد على يشتمنى !!

وصارت قطيعة مؤقتة بين طـه والحكيم ، وعاد الحكيم لقراءة مقال طـه حسين مرة أخرى فى هدوء فلم يجد فيه ما يستحـق غير الشكر .

ويندم الحكيم على عجلته فى ظلم طـه حسين متسائلا مستنكراً :

كيف استطاع اذن هذا الصديق — رحمة الله عليه — أن يغـير شعورى ويثيرنى ضده ؟!

★ ★ ★

اذن فقد كانت « أهل الكهف » سببا فى تعارف طـه والحكيم رغم ما شاب هذا التعارف من خلاف فى الرأى ، وصل احيانا الى سوء فهم من الحكيم نحو طـه حسين ، ولكننا لم نعرف حتى الآن كيف تعـارف الأديبان الكبيران على المستوى الشخصى ؟

توفيق الحكيم اشار الى صداقته لطـه حسين فى سيرته الذاتيـة « سجن العمر » ، اما طـه حسين فقد تساءل : ولكنى لا أدرى لماذا لم يبين كيف صرنا الى الصداقـة ؟

وما دام الحكيم لم يشأ ان يذكر كيف صارا الى الصداقة ، فان طـه لم يجد مبرراً لكى يجيب عما لم يجب عنه صاحبه .

ورغم أن توفيق الحكيم قد نشر رسائل طـــه حسين اليه أكثر من مرة الا أنه لم يشر الى رسائله اليه وما تحتويه من اجابات على كثير من الأسئلة ، وسنلمح ذلك حين يشير الى رد فعله على ثناء طـــه حسين على قصة « أهل الكهف » من الناحية الشخصية حين يقول :

اعجبني مقاله وشكرته فى نفسى » !

غير أنه بجانب هذا الشكر الخفى الذى يدل على بخل الحـــكيم المشهور عنه ، سنجد شكراً مكتوباً يدل على كرم الحكيم بخلاف المشهور عنه ، او هكذا حاول أن يشاع عنه ليتخذ صورة غير صورته ، وليلبس طبعا غير طبعه مما اكتشفه طـــه حسين كصديق للحكيم حين ارســـل الأخير اليه برقية شكر من « دمنهور » حيث كان لا يزال يعمل وكيـــلا للنيابة هناك ، معربا عن تحيته وشكره على مقال العميد عن « اهـــل الكهف » ، وليس بين ايدينا نص هذه الرسـالة الاولى ، ولكن لدينـــا نص رسالة اخرى تدل عليها ، وليس بينها وبين مقال طـــه حسين فى الاشادة بـ « أهل الكهف » وصاحبها سوى ثلاثة عشر يوماً ، وسوف تكشف لنا هذه الرسالة عن أمتنان عميق من الحكيم لطـــه حسين حين يخاطبه بقوله :

« أستاذنا العزيز »

وحين يبدى حرجه من كثرة رسائله اليه خشية « ان يكون فى هذه الرسائل أنفاق لوقتك أكثر مما ينبغى » .

وحين يؤكد الحكيم لطـــه استحالة أن يكتب أو يفكر فى شىء دون أن يعرضه على طـــه لأن « فى هذا أيضاً فائدة لى كبيرة » . وسنكتشف أيضا فى هذه الرسالة أنه كان بين الحكيم وطـــه موعد للقاء بينهما ، ولنترك سطور الرسـالة تشى بمكنوناتها فى الدلالة على ميلاد صداقـــة عميقة بين العميد والحكيم .

يقول نص الرســـالة :

دمنهور فى ٢٨ مايو ١٩٣٣

استاذنا العزيز

انى مضطر ان أبعث اليك بهذه الرسالة ايضا وانا اخشى ان يكون فى هذه الرسائل انفاق لوقتك اكثر مما ينبغى لكنى كنت يوم الجمعـــة الماضى فى الاسكندرية بجوار البحر وحيداً فتقدمت « بريسكا » (*) تحدثنى هذا الحديث المرسول اليك لترى رايك فيه . وان من المستحيل على الآن ان اكتب شيئاً او ان افكر فى شىء دون ان اعرضه عليك . أن فى هذا راحة لى كبيرة . وان فى هذا ايضا فائدة لى كبيرة .

وحديث « بريسكا » جــرأ الآخــرين فيهــا يظــهر . فانى ارى « مشلينيا » يريد كذلك ان يفــضى الى باشيــاء . و « مرنــوش » و « الراعى » حتى الكلب « قطمير » . افاسترسل معهم فى أحاديث متتابعة . أم ان هذا عمل طويل ولا نتيجة له ؟ سنتكلم فى هــذا عنــد المقابلة . ولقد ظهر نظام العطلة القضائية لصيف هذا العــام فكانت من نصيبى اجازة تبدأ فى اول يونيو وتنتهى فى ١٠ يوليو . اربعون يوماً أريد ان اكتب فيها شيئاً فضلا عن المطالعة . وأريد ان امضيها فى الاسكندرية وفى القاهرة ماذا اكتب ؟ مسالة سنتكلم فيها كذلــك ان شــاء الله .

وارجو ان يقبل الدكتور اطيب تحيتى وعميق احترامى .

توفيــــق الحكــــيم

★ ★ ★

وفى نفس السنة التى أصدر فيها توفيق الحكيم « اهل الكهف » التى طافت بشهرته للآفاق اصدر رائعته الأخرى « عودة الروح » ١٩٣٣ التى استقبل بها توفيق الحكيم فى المجمع اللغوى ، ونستطيع أن نعرف راى طــه حسين فيها من خلال كلمته حيث يقول مخاطبا الحكيم :

(★) من شخصيات أهل الكهف وما يليها كذلك من شخصيات .

« ولم تكد قصة « أهل الكهف » تظهرك للقراء فى مصر حتى أظهرتك قصة أخر غير تمثيلية ولكنها اقرب الى التمثيل منها الى القصص ، وهى « عودة الروح » . فأنت فى « عـــودة الروح » تقص ، ولكنك تمثل على رغمك . فالأشخاص احيانا يذهبـــون ويجيئون وحياتهم ماثلة أمامنا لا نتحدث عنهـــا ، أولا ينبغى ان نتحدث عنها بالفعل الماضى ، وإنما ينبغى أن نتحدث عنها بالفعل المضارع كما ينبغى ان نتحدث عن أشخاص القصة ، وأن يعملوا وان يقولوا وإن يأتوا ما يأتون من الحركات التى يأتيها أشخاص القصة التمثيلية . فأنت فى قصصك ممثل أكثر منك قاصا .

وكانت « عودة الروح » هذه هى التى حببتك الى عامة القراء، والى عامة القراء الذين يقربون من الشعب ، ولا يسمـــون الى أرستقراطية التفكير ، ذلك لأنك اقتطعت هذه القصة من حياة الشعب اقتطاعاً .

صورت الحياه المصرية كما يحياها الأوساط من المصريين ، وكما يحياها الفقراء من المصريين ايضاً ، وصورت هذه الحياة المصرية فى كثير من الحب والشغف بها والفناء فيها ، كأنما كنت تصور نفسك ، لان كل المصريين الذين صورتهم فى هذه القصة يتصلون بك من قريب أو بعيد .

ولست فى حقيقة الأمر الا واحداً من هؤلاء الأشخاص الذين تراهم يتحركون ويذهبون ويجيئون فى قصتك بكثرة ، ثم صورت الحياة المصرية فى وقت دقيق من اوقاتهم حين كان المصريون ثائرين بالانجليز ، طامحين الى الحرية ، عامدين الى أخذ استقلالهم من هؤلاء الانجليز عنوة ، ماضين فى جهادهم لا يلوون على شىء ولا يصدهم هـــذا عن شىء . يرسلون ابناءهم الى حيث يطالبون بهذا الاستقلال خارج مصر . منهم من يتكلف فى ذلك ما فرض عليه من سجن ونفى ، ومنهم من ينضم الى هؤلاء الذين سجنوا ونفوا ليصاحبهم فى الجهاد ، وليحتمل معهم أثقاله.

والشعب المصرى من وراء هؤلاء جاد كادح . وليس لهذا الشعب قوة ولاثبات الا ايمانه بنفسه ، وثقته بمستقبله ، واكباره لماضيه ، دون أن يحقق هذا الماضى ودون أن يذكره ذكراً صريحاً ، كما أنه لا يعرفه

هذا المستقبل ، ولكنه يؤمن بماض مجيد ، يجهله ولا يكاد يحققـه .
وكذلك كان الشعب المصرى حين صورته فى هذه القصة .

واشهد لقد صورته فأحسنت تعريفه ، فهو شعب يجهل نفسه ، وهو على جهله بنفسه يقدر نفسه ، يعرفها فى ضميره الخفى ، ويجهلها فى ضميره الشعورى . كما يقول استاذنا الرئيس لطفى السيد .

وقد صورت الشعب المصرى تصويراً حسنا .. حين انطقت بهذا — فى قصصك — ذلك الأثرى .. الخ الذى كان يجادل فيه ذلك المفتش الانجليزى :

شعب غنى قوى ولكنه يجهل ثروته ويجهل قوته ويجهل نفسه .

والأحداث هى التى تكشف عن حقائقه وتبين له دخيلة أمره ، فاذا هى دخيلة خصبة تبعث الأمل وتحيى الرجـاء .

(......) وانا اعرف انك فى « عودة الروح » قد اصطنعـت لغتين .

اصطنعت لغة عربية فصيحة تحتاج مع ذلك الى شىء من التحرير ، واصطنعت لغة عامية طبيعية ، ولكنك آثرت نفسك باللغه الفصحى ، فكنت اذا تكلمت أنت افصحت ، واذا اردت اشخاصك على ان يتكلموا ارسلتهم على سجيتهم فتكلموا فى لغتهم العامية كلاماً عذباً حلواً . وكنت فى هذا ملائما لما ينبغى أن يكون عليه الحال حين يريد الكاتب أن يصور حقائق الشعب كما يجب ان تكون ، أو كما هى فى واقع الأمر .

ولك فى هذا خصوم ، كما أن لك فى هذا زملاء . فزميلنا « تيمور » قد صنع نفس هذا الصنيع فى اول امره ثم أعرض عنه الى اللغة الفصحى الخالصة ، ثم عاد الى اللغتين جميعا ، واصطنع الفصحى لنفسـه ، واصطنع العامية للشعب .

وما أرى انك قد بعدت عن هذا المذهب . فأنت تصطنع العامية احيانا اخرى ، وليس عليك من هذا بأس ، فما ينبغى ان يطالب الفنان بأكثر مما يستطيع ان يعطى ، فالحرية هى الأصل الأول للفن » .

★ ★ ★

وسنجد اشارة الى « عودة الروح » فى رسالة من توفيق الحكيم الى طـه حسين ، بل ان الحكيم يستشير طـه فى أمر يتعلق برسالة بعث بها اليه مستشرق انجليزى « يبحث فى كل ما يتصل بالبينات الشعبية » بل ان الحكيم يبعث برسالة هذا المستشرق ، ملحقة برسالته الى طـه حتى يرى طـه فيها رأيه ، ويفصح الحكيم عن السبب الذى يجعله يستشير « الدكتور الكبير » كما يقول عنه ، حين يتحدث عن « اثر الدكتور فى حياته الأدبية » ، وهو ما يراه مبيحاً له ان يطلب رايه .

وسنستدل على حرص توفيق الحكيم على اشراك طـه حسين فيما يتعلق بشئونه الأدبية الخاصة حين نرى ان الحكيم بعد ان ينهى رسالته الى طـه حسين ، ويوقعها باسم « المخلص توفيق الحكيم » ، يضيف الى خطابه خطابا آخر يتعلق بمشكلة عرضت « لأهل الكهف » وحقوقه كمؤلف عنها ، مؤكداً « لن أبرم شيئاً كذلك فى أمر « اهل الكهف » بدون راى الدكتور » .

والآن علينا أن نقرأ الرسالة لنتعرف على ما تحتويه من دلالات ، وسنلحظ فى البداية أن توفيق الحكيم لا يزال يقيم خارج القاهرة ، ومن ثم سنرى نظرته لطـه حسين نظرة كاتب من الاقاليم الى كاتب يسيطر على أضواء القاهرة ، فلا يزال طـه حسين هو « الكبير » ، ولا يزال الحكيم يؤكد له ويطلب منه أن يثق بما يحمله له من « حب واخلاص واكبار » ، وسنلاحظ ايضا أن توفيق الحكيم قد وقع على الرسالة ثلاث مرات ، ويبدو أنه بعد كل توقيع كان يتذكر شيئا لم يذكره فيكتبه .

وهذا هو نص رسالة الحكيم الى طه حسين :

دمنهور فى ١٩٣٣/١٠/٢٨

عزيزى الدكتور الكبير

ابعث طى هذا رسالة من مستشرق انجليزى اسمه مستر نويل باربر اعرف أنه يبحث فى كل ما يتصل بالبيئات الشعبية والأغانى والأناشيد والمسرح المحلى فى الشرق الأدنى . وانه أقام فى تونس ومراكش زمناً من أجل هذا الغرض ثم جاء مصر ومكث فيها عامين ثم نزح الى فلسطين وهو يقيم بها الآن الى أن يغادرها يوما الى العراق والشام . ولقد سبق أن بعث الى شاب اديب (أمين حسونة) فى أول الصيف الماضى خطابا يطلب الى فيه نسخة من « عودة الروح » لهذا المستشرق ففعلت .

انى لم ارد بعد على المستر باربر بنعم أو بلا ، قبل أن اعرض الأمر على الدكتور . أن اثر الدكتور العظيم فى حياتى الادبية يبيح لى ان اطلب رأيه بل اشراكه بالفعل فيما تدعو اليه هذه الحياة الأدبية من تصرفات.

أرجو الدكتور أن يبلغ المدام عميق احترامى وأن يثق بما احمله له فى نفسى دائما من حب واخلاص واكبار .

المخلص

توفيق الحكيم

سأعمل كل ما فى وسعى للحضور الى القاهرة فى آخر هذا الأسبوع ان شاء الله .

توفيق

مشكلة اخرى أعرضها على الدكتور : جاءنى الآن كتاب من لجنة التأليف والطباعة والنشر ردا على استعلامى عن حقوق التاليف الخاصة بأهل الكهف مضمونه أنه بمجرد قيام اللجنة بطبع ٢٠٠٠ نسخة يصبح لها الحق فى اعادة الطبع بدون رغبتى فى اى وقت كما يصبح لها الحق فى الاستيلاء على جزء من حقوق المؤلف اذا ترجم الكتاب او مثل على مسرح ما او اقتبس موضوعه للسينما او الاذاعة .

هذه الحقوق التى تترتب للجنة لمجرد طبعها الكتاب باللغة العربية معناها انى قد نزلت عن حقوق التاليف فى مصر وفى غير مصر الى ما شاء الله . مع ان اللجنة لم تشتر حق التاليف .

ان قانون اللجنة اللجنة فيما أرى كقانون الحماية الايجليزية لا قاعدة له من قواعد الحق والانصاف . ان رأيى الآن هو أن أقوم انا نفسى بطبع هذا الكتاب كما فعلت أولا . أو أن أبيع حق الطبعة الأولى فقط اى حق طبع الفى نسخة فقط لناشر من الناشرين الذين طلبوا هذا الطلب .

انى على أى حال لن ابرم شيئاً كذلك فى أمر أهل الكهف بدون رأى الدكتور .

المخلص

توفيق

★ ★ ★

ولكن مجريات العلاقة بين طـه والحكيم سترينا ان اشارة الحكيم الى طبعة ثانية بعد الطبعة الأولى ، ستوجد مشكلة بينهما سنتعرض لها فى حينها بعد أن نتعرف على مضمون رسالة المستشرق الانجليزى التى اشار اليها الحكيم فى رسالته وحرص على أن يرسلها الى طـه ليرى رأيه فيها .

يقول المستشرق الانجليزى :

بيت لحـــم

فلسطين　　　　　　　　　　٢٢ اكتوبر ١٩٣٣

عزيزى توفيق الحكيم

عندما شكرتك على كرمك فى ارسال الجزئين من « عودة الروح » قبل العطلة ، لم اكن قد قراتها بعد . الآن وبعد ان اتممت دراستها ، اشعر أنه من الواجب على أن اكرر شكرى مرة اخرى ؛ وأن اهنئك من كل قلبى لنجاحك للمرة الثانية فى خلال عام واحد ، من تحقيق تقدم جديد فى تقدم الأدب المصرى المعاصر .

انى لاجد أن الجزئين يستدعيان الاعجاب المطلق لانهما يرسمان لوحة للحياة المصرية المعاصرة .

فاذا لم تكن قد اتفقت بعد مع مترجم آخر ، فانى تحت امرك فيما يخص ترجمة عملك هذا الى اللغة الانجليزية ، ومستعد ان امر على مصر بعد اتمامى لها (حيث أنى اقيم حاليا فى فلسطين) لاستشيرك فى الصعوبات القليلة التى قد اقابلها فى تفسير بعض الكلمات والجمل . وانى لواثق أن الكتاب سيلقى استقبالا جيداً من قبل النقاد ، ولكن يصعب تحديد مدى نجاح اى عمل مترجم ، وخصوصا اذا كان عملا لكاتب جديد ، او التأكد من انه سيحظى بحجم مبيعات مرضى من قبل الجمهور .

أما بالنسبة للشروط ، فسوف أقوم بالبحث عن ناشر يقوم بدفع الحقوق المعتادة .. الخ .

ويمكننا تقسيم الأرباح ان وجدت ، او يمكنك أن تطرح اقتراحا آخر ان احببت .

صديقنا حسونة يعرفنى جيدا ، ويمكنك ان تستفسر عنى منه .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

نيفيل باربور

★ ★ ★

بعد أن اتضح عزم توفيق الحكيم على اصدار طبعة ثانية لأهل الكهف ، أبدى طه حسين رغبته فى كتابة مقدمة لها ، لتحدث بسبب هذه الرغبة مشكلة جديدة بين الطرفين .

يرى توفيق الحكيم أن هواية طه حسين هى كتابة المقدمات للكتب التى تصدر ، وخاصة اذا كانت لأصحاب المكانة او الأهمية فى نظره .

فقد كتب مقدمة لديوان « الخليل » للشاعر الكبير خليل مطـــران ، ولكتاب « المرآة » لعبد العزيز البشرى ، ولكتاب « فجر الاسلام » لاحمد امين ، وغيرهم حتى ممن كانوا أكبر منه سناً وأقدم مكانة مثل « خليل مطران » الذى فى سن استاذه لطفى السيد .

اما الحكيم فلم يتحمس لمقدمة يكتبها له طـــه حسين لانه كما يقول : يكره المقدمات ، وقد ذكر ذلك لصديقه القاضى « طاهر راشد » حتى قبل ان يصدر له كتاب ، فقد أعطى لصديقه هذا مخطوطة « أهـــل الكهف » فاعجبته وشجع الحكيم على طبعها ونشرها ، وتولى هو عنه القيام بهذه المهمة ، وكانت بينهما مراسلات (نشرها الحكيم فى « وثائق من كواليس الأدباء ») ، تعلق بعضها باقتراح هذا الصديق ان يكتب أحد مشاهير الكتاب مقدمة « لاهل الكهف » ، ولكن توفيق الحكيم رفض قائـــلا :

أما المقدمة فليس عندى ما اقوله سوى ما قلته فى القصة نفسها ، واما ان يقدم للقصة أحد كبار الأدباء المشهورين فى مصر كما هو المتبع فهذا ما امقته ، لأنك تعلم اننى رجل مخلص صريح ، وأن أولئك الكتاب المشهورين قلما يقراون ما يقدمون له من كتب ، وأن عملى ان هو الا عمل يمثل شبيبة اليوم الصريحة المخلصة التى تسعى الى العمل المجدى لا الى الشهرة الفارغة ، لذلك تجدنى مصراً على عدم التمحك فى الكتاب المشاهير لاحظى بمقدمة لا تظهر الا نفاق كاتبها وجهله بالقصة التى يكتب عنها » .

وقد ظل موقف توفيق الحكيم من عدم كتابة مقدمات لكتبه أو لكتب غيره موقفا ثابتا لا يتغير ، اللهم الا بعض الاستثناءات النادرة فى سنواته الأخيرة كنوع من المجاملة ، أما قبل ذلك فقد قصده صديقه الشـــاعر الرقيق « ابراهيم ناجى » فى الثلاثينيات ليكتب له مقدمة ديوانه الأول « من وراء الغمام » ، فاحاله على « أحمد الصاوى محمد » ليكتب عنه فى بابه « ما قل ودل » لتعريف الناس به ، وعندما قصده صديق آخر هو « صلاح ذهنى » لكتابة مقدمة لكتاب ادبى له ، والح فى ذلك الحاحاً شديداً كتب يقول له « ان عملك هو الذى يقدمـــك » . مما جعـــل

د. عبد الحميد يونس (استاذ الأدب الشعبى الراحل) يعتب عليه قـائلا :

هل هذه مقدمة تكتبها لمن يريد ان يشق طريقه فى عالم الادب ؟! .

وهذا الموقف من مسألة المقدمات جعل توفيق الحكيم لا يتحمس فى نفسه عندما عرض عليه طـه حسين أن يكتب له مقدمة الطبعة الثانية « لأهل الكهف » ، لأنه يكره المقدمات ، ولم يكن طـه يعرف ذلك عن الحكيم ، ولم يحاول الحكيم ان يوضح له هذا الموقف ، فحدث سوء فهم بين الأديبين كان مقدمة لمشاكل وخصومات اخرى .

وقد ذكر طـه حسين هذا الموقف فى فصل أدبى نشره فى كتـابه « فصول فى الأدب والنقد » ، فكتب يقول :

« ونتحدث عن « أهل الكهف » وعن طبعة ثانية تذاع بين الناس فأقترح أنا أن أقدمها الى الجمهور ، ويظهر الأستاذ وأصدقاؤنا الرضا بذلك والابتهاج له ، ثم يلقى الستار ويرفع وقد تمت الطبعة الثانية من « أهل الكهف » وأبطأت أنا بالمقدمة أسبوعين أو نحو أسبوعين فينشر الكتاب بغير مقدمة وبغير أن يتحدث أحد فى ذلك ، فيسؤنى ذلك بعض الشىء » .

لهذا ظن طه حسين ان توفيق الحكيم يسىء معاملته عندما لم يمهله ليكتب له مقدمة الطبعة الثانية من « اهل الكهف » ، وظـن ان الذى سيكتبها — كما صرح للحكيم بعد ذلك — هو أستاذ الجيل احمد لطفى السيد ، ولم يعلم بأن هذا ايضا لم يخطر على بال الحكيم باعتباره مبدءاً عاما عنده للجميع .

وتطورت الأمور بعد ذلك بين الأديبين الكبيرين على اثر مناقشات دارت بينهما حول بعض الموضوعات مثل « الخلق » و « النقد » فى اطار حديثهما عن « الشخصية المصرية » ، المطلوب تجليتها وبلـورتها فى الابداع الأدبى والفنى فى هذه المرحلة من الثلاثينيات التى اتسمت باليقظة الفكرية .

وكان لهذه المناقشات — كما يقول توفيق الحكيم — صدى عميقـا فى نفوس القراء والادباء والمفكرين فى مصر والعالم العربى ، وخاصة عندما استعرض الحكيم شخصية مصر من إعماق تاريخها ، ليس عن طريق الفكر المكتوب فقط بل عن طريق التعبير الفنى المتمثل فى فـن النحت والتصوير والعمارة محاولا البحث عن روحها ، متسائلا :

ما بال تماثيل الآدميين عند المصريين مستورة الأجساد ، وعنـد الأغريق عارية الأجساد ؟

هذه الملاحظة الصغيرة تطوى تحتها الفرق كله ، نعم كل شىء مستتر خفى عند المصريين ، عار جلى عند الاغريق ، كل شىء فى مصر حفى كالروح .

وكل شىء عند الاغريق عار كالمادة .

كل شىء عند المصريين مستتر كالنفس .

وكل شىء عند الاغريق جلى كالمنطق .

فى مصر الروح والنفس .

وفى اليونان المادة والعقـل .

نظرة اخرى فى اسلوب النحت تدعم هذا الكلام .

ان المثال المصرى لا يعنيه جمال الجسد ولا جمال الطبيعة من حيث هى شكل ظاهر .

انما تعنيه الفكرة ، انه يستنطق الحجر كلاماً وأفكاراً وعقائد . على أنه يشعر مع ذلك بالتناسق الداخلى ، يشعر بالقوانين المستترة التى تسيطر على الأشكال ، يشعر بالهندسة غير المنظورة التى تربـط كل شىء بكل شىء ، يشعر بالكل فى الجزء ، وبالجزء فى الكل ، وتلك اولى علامات الوعى فى الخلق والبناء ، هذا كله يحسه الفنان المصرى لأن له بصيرة غريزية او مدربة تنفذ الى ما وراء الأشكال الظـاهرة لتحيط بقوانينها المستترة ، فنان عجيب لا يصرفه الجمال الظاهر للأشياء عن الجمال الباطن . انه يريد ان يصور روح الأشكال لا أجسامهـا ، وما روح الشكل الا القانون العام الأعلى المستتر خلفه .

ان ولع المصريين بالقوانين الخفية ليبلغ حد المرض ، مـــرض
الهى . لو ان الآلهة تمرض لكان هذا هو مرضها : فرط البحث عن
القانون !

كل شيء فى مصر الهى » .

وقد دهش كثيرون ومنهم طه حسين نفسه من أسلوب التفكير
والتناول ، لأن الذى كان معروفا وقتئذ هو أن أغلب الادباء فى عالمـــنا
العربى يعتمدون على الكلمة وحدها فى تناول الأشياء ، دون أن يلمـــوا
بطرق التعبير الانسانى الأخرى من فنون وعلوم وفلسفات تستخرج من
الفنون التشكيلية والمعمارية . وبدا لهم غريبا هذا النوع من الثقافـــة
الشــــاملة .

★ ★ ★

وقد بدا فى أسلوب توفيق الحكيم ما أثار طـــه حسين ، فكتب فى
١٠ يونيو ١٩٣٤ على سبيل المثال فى مجلة « الوادى » مقالا بعنوان (رد
على الدولة) ، ويقصد بالدولة هنا ، توفيق الحكيم ، لما أبداه من لهجة
متعالية فى الحديث عن نفسه ، وعن القضايا التى يتعرض لها ، فهو يبدأ
مقاله رداً على طـــه حسين قائلا :

يا دكتور

ويقول له فى معرض حديثه الذى ضمنه انكاره :

لك أن تقره ولك أن تنكره .

ويطرح عليه عدداً من الأسئلة مخاطبا اياه :

أرجو من الدكتور أن يجيب .

وفى ١٧ يونيو ١٩٣٤ يكتب طه حسين مقالا تحت عنوان (الأديب
الحائر) — قصة تمثيلية — يرسم فيها خطوط هذه القصة التى تسرد
تصرف الحكيم معه ، اذ كان يسر طوراً ، ويغضب طوراً آخر ، ويتصنع

السرور مرة اخرى دون ما سبب واضح ، بعباراته العنيفة التى يوجهها فى رسالة الى طه حسين جاء فيها :

(لست احد يخاطبنى بلسان التشجيع فما أنا فى حاجة الى ذلك) ، مضيفاً طـه حسين : (أن هذه اللهجة لا يملكها غير توفيـق الحكيم الا رئيس الوزراء) (*) .

★ ★ ★

وقد ساهم البعض فى توسيع رقعة الخصومة بين الحكيم وطـه ، فعلى سبيل المثال شارك احمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة ، بشكل غير مباشر فى نشر تفاصيل الخلافات بين القطبين الكبيرين على نطاق واسع ، حينما كان ينشر الرسائل والمقالات المتبادلـة بين طـه والحكيم فى مجلة « الرسالة » واسعة الانتشار ، نقلا عن مجلة « الوادى» محدودة الانتشار ، ولكن الزيات لم يكن يقصد بالطبع نشر خلافـات الأديبين رغبة فى نشرها تعميقاً للخصومة ، وانما كان يرى فى هذه المعارك الفكرية والأدبية اثراء للساحة الأدبية والثقافية (بصرف النظر عما يكتنفها من خصومة أو خلافات شخصية) .

ويرى توفيق الحكيم ان الحساسية عند طـه حسين كانت تضخم له هذه الأشياء وامثالها مما كان يتراكم فى نفسه دون ان يظهره ، الى حـد تصور فيه أن الحكيم يسىء اليه عمداً لدوافع سياسية ، تحت ضغط من وزارة المعارف التى كان على خصومة مع وزيرها ، فى الوقت الذى كان فيه الحكيم مديراً لادارة التحقيقات بالوزارة نفسها ، ورأى الحكيم أن طـه حسين له الحق فى هذا التصور والظن لما كان يلاحظ فى ذلك العهد من تقلب الأدباء السياسى ، ومنهم طه حسين نفسه ، والعقاد ، والمازنى، وغيرهم ممن تنقلوا بين وقت لآخر بين حزب وآخر .

ويرى الحكيم أيضاً أن هذا لا ينتقص من قدر هؤلاء الأدباء العظمـاء ولا من قيمتهم الفكرية ومكانتهم الأدبية ، فقد حدث مثل هذابالنسبة للتاريخ

(★) نقلا عن « بروباجندا توفيق الحكيم » للدكتور مصطفى عبد الغنى من نسخة مخطوطة على الآلة الكاتبة نشرها بعد ذلك فى مجلة الهلال (٨٥) .

الأدبى العالمى لكتاب عظام من « فولتير » الى « سارتر » ، فالتاريخ الانسانى مملوء بالمتناقضات والمتغيرات ولا يجمد على الأوضاع غير الجهاد .

ولذلك حين رأى توفيق الحكيم أن صديقه طه حسين يظن به الظنون، بادر الى مصافاته معلنا « ان اكبر سلطة فى الدولة لا تستطيع أن تفسد الصداقة التى بيننا » قائلا له فى رسالة خاصة :

انه لا دخل لما بيننا من خلافات فى الراى والفكر باى أمور سياسية وأنه لم يخطر ببالى مطلقاً حينما لمْ ادعك تكتب مقدمة « لأهل الكهف » أن ذلك يدخل فى باب الخصومة ، واننى أكن لك وداً وحباً بالغين » .

وقد اكبرت هذا الموقف من توفيق الحكيم ، الأديبة « مى » صاحبة الشهرة الأدبية فى العشرينيات والثلاثينيات ، والتى خفقت قلوب الادباء بحبها ومنهم لطفى السيد ، والعقاد ، وطه حسين نفسه ، فكتبت الى توفيق الحكيم فى ١١ يوليو ١٩٣٤ ، فى رسالة (نشرها الحكيم) أشادت فيها بكتابيه (أهل الكهف) ، و (عودة الروح) ، ثم قالت :

بيد أنى عرفت منك بخصومتك مع صديقنا الدكتور طه حسين وخصوصا ببادرتك الى مصافاته ، اكثر مما عرفت بكتابيك .

وقد استرعى التفات « الحكيم » فى خطاب « مى » اليه اشارتها المذكورة الى خصومته مع « طه حسين » فى ذلك الوقت ، لأنه كان يرى أن « صداقتنا — كانت — فيما يبدو غير قابلة لخصومة » .

ويعترف على نفسه « ولكن يبدو أنى كنت قد جرحت احساس طه حسين يومئذ من حيث لا أقصد » .

ومن ثم بادر توفيق الحكيم الى مصافاته .

* * *

غير اننا لا نكاد نغادر سنة ١٩٣٤ ، حتى يحدث ما يعكر الصفو مرة أخرى ، فقد أصدر توفيق الحكيم مسرحيته « شهرزاد » وكان لابد طــه حسين كعادته أن يقول رأيه ، ولم يكن رأيــه فى (شهرزاد) كرأيه فى « أهل الكهف » و « عودة الروح » ، فقد كتب يقول عــن « شهرزاد » : أن مؤلفها توفيق الحكيم فى حاجة الى مزيد من القراءة الفلسفية » ! مما استفز الحكيم وجعله يرسل خطابا الى طــه حسين « يشتمه » فيه ، ويقول : انه قرأ فى الفلسفة أكثر مما قرأ طــه حسين نفسه ، وأنه ليس فى حاجة الى نصــائحه (*) .

ولم يكن رأى طه حسين فى بقية مؤلفات الحكيم ، بعد ذلك بأحسن حالا من رأيه فى « شهرزاد » فقد أعلنه برأيه هذا على مشهد من جلسة علنية (بمجمع اللغة العربية) حين استقبله سنة ١٩٥٤ ، رغم استقرار صداقتهما بعد ذلك ، فقد قال « طــه » مخاطبا « الحكيم » :

ومضيت بعد ذلك فيما مضيت فيه من كتبك التى لا أجــد وسيلة الى احصائها ، وأكاد أعتقد أنك لو استأنيت بنفسك شيئا وأنتجت فى شيء من الابطاء لأعطيتها آيات تشبــه فى جودتها وقوتها وبراعتهــا واستعدادهــا للبقــاء هــذين الأثرين : أهل الكهف ، وعودة الروح » .

★ ★ ★

وكعادة توفيق الحكيم فان الغضب يستفزه ثم لا يلبث أن يعــود معترفاً بخطئه فى حق طــه حسين .

وبين أيدينا رسالة ناقصة من الحكيم الى طــه ، لم نعثر سوى على صفحتها الثانية ، وليس فيها تاريخ يدل على زمنها ، وان كــان مضمونها يدل على مناسبتها التى لعلها كانت مرتبطة بالخطاب العنيف الذى أرسله الحكيم الى طــه ، تعقيبا على تعليقه على « شهرزاد » ، والخطاب مكتوب باللغة الفرنسية ، ويرجح أن الحكيم قد أرسله الى

(★) المصدر السابق .

طـه اثناء سفره الى الخارج ، ويكشف مضمون الخطاب ، أو نصـه الذى بين ايدينا عن اعتذار شديد وعجيب ومدهش يصل الى حـد أن الحكيم يطلب من طه أن يعفو عنه والا لو ظل غاضباً منه فانه سيتخلى عن الفن وعن كل سيرته الأدبية !

يقول توفيق الحكيم :

... انى إتالم بحق ، بعد التفكير اتضح لى أنى مخطىء ، كـان على ، على الأقل ان استشيرك قبل ان انشر كتبى .

ما رايك فى تصرفى ؟

الذى يؤنبنى اكثر هو ما إبديت من لطف فى العفو عنى بكل هـذا الكـرم .

انك فى الحقيقة فنان عظيم فى أعماقك ، هذا مؤكد . وانا إعترف انى لا اتمتع بمثل هذه الروح ، أنا لست جديراً بالفن ولا بك .

والآن ها هو قرارى :

اذا ظللت غاضباً منى فسأتخلى عن الفن وعن كل سيرتى الأدبية .

المخلص

توفيق الحكيم



ورغم ان شهرزاد كانت سببا لجفوة بين طـه حسين وتوفيـق الحكيم الا انها كانت سبباً فى جمعهما على « جبال الألب » فى كتـاب مشترك خرج لنا باسم « القصر المسحور » ، مما سوف ياتى الحديث عنه فى حينه ، الا ان « اهل الكهف » تظل درة التاج فى العـلاقة بين الاديبين الكبيرين ، اذ لا يزال الحديث عنها موصولا ، بعد أن تحولت من بين صفحات كتاب الى عمل فنى على خشبة المسرح ، وقد حرص طـه حسين على حضور حفل الافتتاح ، وكان له فى « اهل الكهف » حديث آخـر .

★ ★ ★

(٢)

توطدت الصداقة بين طـــه حسين وتوفيق الحكيم على وضعهـــا الوثيق المستقر فى أواخر عام ١٩٣٥ ، بعد أن زالت عنها الغيوم التى تلبدت فى سمائها فى أكثر من مناسبة ، ولكن توفيق الحكيم كان حريصاً على الاحتفاظ بصداقة طـــه حسين كما أخبرتنا بذلك رسائله الخاصة اليه ، وجاء عام ١٩٣٥ ليشهد تأسيس الفرقة القومية برياسة الشاعر «خليل مطران» ، والتى تم افتتاحها بمسرحية « أهل الكهف » لتوفيق الحكيم ، وقد حضر طـــه حسين حفل الافتتاح وتغيب عنه توفيـــق الحكيم صاحب المسرحية ، وله فى ذلك أسبابه التى سنتناولها فى حينها .

ولعله من المفيد أن نقرأ نقداً لعميد الأدب العـــربى لمسرحيـــة لم يشاهدها ولكنه سمعها ، لقد عرض طـــه حسين للظروف السياسية المضطربة ، فى ذلك المقال المجهول (*) . فقد عاد الدستور بعد أن دفع المصريون من دمائهم وأرواحهم الكثير ، وقد شغل الحاضرون حفـــل الافتتاح بحديث السياسة قبل رفع الستار وتعجلهم لصدور الأمر الملكى باعلان الدستور رسميا ، واختلط حديث السياسة ، بحديث المسرحية بين الفصول ، بل ان حديث السياسة كان يشغل بعض الناس أثناء التمثيل وما سيكون عليه الموقف السياسى فى الغد ، مما جعـــل طـــه حسين يتعجب ويقول انه كان من الخير لهم ان يتحدثوا فى أمور السياسة

(★) النص الكامل للمقـــال المنشور فى جريدة الجهاد فى ١٤ ديسمبر ١٩٣٥ يمكن الرجوع اليه فى كتـــاب أوراق مجهولة للدكتور طه حسين ، للمؤلف ـ صدر عن دار المعـــارف .

فى مكان آخر غير المسرح ، ولو كان قد فرغ بالهم لكـــان حـــظ القصة والفرقة من عنايتهم ورضاهم اعظم حظاً مما حدث ليلة الافتتاح . وزاد من قلة الحظ ان المسئولين عن المسرح قد غاب عنهم شوق النـــاس وتعجلهم لمشاهدة التجربة الأولى ، فقد تأخر رفع الستار حتى تقدمت الساعة نحو العاشرة مما أصاب الناس بالضيق والملل ، معبرين عنه تصفيقا بالأيدى وضرباً بالأقدام على الأرض ، وانطلاقا لبعض الأصوات المتبرمة بعد نفاذ الصبر ، حتى ألقى السلام الملكى فهدأ الناس ابتهاجاً بأن التمثيل سيبدأ فوراً ، فاذا بأملهم قد خاب ، وكان عليهم أن ينتظروا وقتاً آخر حتى ينتهى قارىء القرآن الكريم من تلاوة آيات كريمة مـــن سورة الكهف ، فغشى الناس خشوع ورضا من بداية الاحتفال بقصة « اهل الكهف » بآيات من نفس السورة التى سميت باسمها واستلهمها المؤلف من موضوعها ، ولكن القارى أطال الترتيل ، فراح قوم يسعلون ، وآخرين يتحرجون مما اثار اضطرابا لا يليق بمقام القرآن حـــين تتلى آياته ، مما اضطر القارىء الى أن يقطع ترتيله مخافة اشتداد الأمر ، ولكن الأمر لم يقف عند هذا الحد فلم يبدأ التمثيل بل ابتدات موسيقى طويلة عرضت معها مناظر كأنما اريد أن يكون ذلك تمهيداً للتمثيل ، ولكنه تمهيد طال أظهر معه الناس الضيق والضجر بعد ان طال انتظارهم ونفذ صبرهم وأصابهم الفتور ، ثم بدأ عرض مسرحيه « أهل الكهف » ، لتبعد بفصلها الأول الفتور عن الناس وتعيد اليهم نشاطهم ، ثم جاء الفصل الثانى ليملك القلوب والعقول ، ومن هنا ـــ كما يصف طـــه حسين ـــ جاء التصفيق فى نهاية هذا الفصل مضاعفاً قويا لافتور فيه .

ولكن الفصل الثالث وقد استقبله الجمهور مشوقا موفور النشاط شابه شىء من طول الحوار فى بعض المواضع يحسن فى القراءة ولا يحسن فى التمثيل ، كما ان « بريسكا » كانت بحاجة بعض الشىء الى أن تنسى عصرنا الحديث لتعيش فى العصر الذى وقعت به القصة ، كما كـــان الممثلون بحاجة هم ايضا الى ان ينتهوا عن الاسراف فى الحماسة ورفع الصوت ، فأدوات الممثل ليست كأدوات الخطيب .

ولما أسدل الستار على هذا الفصل أصبح نجاح القصة والفرقة حقاً لا شك فيه .

اما الفصل الرابع فقد تمنى طـــه حسين الا يكون ــ او حسب تعبيره « ثم عدنا الى الفصل الرابع وليتنا لم نعد ، فقد كان هذا الفصل طويلا وإخشى أن أقول مملا » ، ذلك لأن ما يلائم القراءة لايلائم المسرح ، فقد كان فصلا « تفلسف » فيه الأبطال ، ونصح طـه حسين باختصـــار هذا الفصل لكى يلائم المسرح او « الملعب » حسب تعبيره .

اما خلاصة رآى طـــه حسين الذى كان اول نقد عربى لأول عرض مسرحى عربى ، فانه « مهما يكن من شىء فان من الحق أن نهنىء الفرقة بما ظفرت به من فوز أمس ، وان نؤكد انها قد إبتدات احسن ابتداء ، وان كل شىء يدعو الى أن ننتظر منها احياء التمثيل العربى كاحسن مما نحب أن يكون » .

وقد هنأ طـــه حسين ، مدير الفرقة خليل مطران ، فهو « اشجع من أن يحتاج الى تشجيع ، وابرع من أن يحتاج الى تقريظ ، وان جهوده أعظم من ان يهنأ صاحبها بما قدر لها من توفيق » .

ثم انتقــد طـــــه حســـين « جمهــور النظـــارة » ولا سيمـــا اصحـــاب المنصـــب والجـــاه منهـــم والذين يستبيحـــون لأنفســـهم ما لا يستبيحه غيرهم من الناس مخالفين آداب المسرح بما يقتضيه من الصمت والاصغاء ، فما بالك بالقاء الجمل التى لا ينبغى أن تلقى الى درجة أن طه حسين نفسه يقول « وقد سمعت أمس من هذه الجمـــل ما استحى ان اسطره ، وان لم يستح أصحابه من ان يقولوه » .

★ ★ ★

اما عن موقع توفيق الحكيم من نقد طـــه حسين لمسرحيته فقد ظهر وهو يثنى على الفصل الثالث حين يقول « ولم يكد يلقى الستار على هذا الفصل حتى كان نجاح القصة والفرقة حقاً لا شك فيه ، وحتى لم اتردد فى اعلان اسفى لأن الأستاذ توفيق الحكيم لم يكن حاضرا ، ولم يتقدم الى هذا الجمهور المبتهج السعيد لياخذ بحظه من الرضى والسعادة. ولكن أنبئت انه قد آثر الفرار من هذه الموقعة التى كانت بينه وبين جمهور النظارة ، فانتصر غائباً » .

لقد لاذ توفيق الحكيم نفسه بكهفه الخاص فراراً من مسرحيتـــه « أهل الكهف » ليلة الافتتاح ، اما لماذا كان فرار الحكيم ، ولماذا كان انتصاره ، فان العودة الى حال المسرح قبل توفيق الحكيم سوف تقدم لنا اجابة السؤال الاخيرة ، ثم نحاول بعد ذلك أن نجيب على السؤال الاول .

أوليس من الأفضل أن نترك توفيق الحكيم نفسه يجيبنا من خلال « سجن العمر » الذى عاش بين جدرانه ؟

انه يقول « اذ ما كدت أعود من فرنسا حتى وجدت أوضاع مصر السياسية فى تطورها السريع ، وما نتج عنه من برلمانات وأحزاب تنفق الاموال بغير حساب على السنة حالها من الصحف والكتاب ، قد رفعت من شأن الصحافة وكتابها ، فى الوقت الذى تدهور فيه المسرح وكتابه ..عدت فلم أجد جوقة عكاشة .. لقد افلست واختفت .. ومسرح رمسيس آخذ فى الترنح والاحتضار .. وأسماء : محمد مسعود ، وعباس علام ، ولطفى جمعه ، وابراهيم رمزى ، وغيرهم .. قد انطفأت بانطفاء أضواء المسرح .. ولمعت أسماء جديدة مع التماع نجم الصحافة .. برزت أسماء طـــه حسين وهيكل والعقاد والمازنى (..........) ـــ و ـــ استطاعوا أن يتابعوا تجديدهم فى النقد والشعر والأدب .. فى حين أن كتاب المسرح قد انتهوا بانتهائه .. وقد نجعت حقاً بما حدث للمسرح فى الوقت الذى عدت فيه حاملا فى جعبتى محصولا غزيراً لمختلف ثقافاته .. وخطر لى أن ابحث عن صديقى القديم مصـــطفى ممتاز ، أتنسم منه روائح عهدنا الغابر .. فوجدته قد انصرف انصرافاً تاماً عن الكتابة على الاطلاق ، وقال لى فى نبرة حزن وأسى : « المسرح مات » .

وسألته عما يفعل اذن ؟

فقال بهدوء وجد : اشتغل بتحويل النحاس الى ذهب !

وخلته يمزح ، واذا به يؤكد لى أن هذه هى هوايته الآن ، وأنه يطالعها فى الكتب القديمة ، وأنه غارق لأذنيه فى تلك الكتب ، وقد أحاط ببعض ما فيها من عجائب وعلوم وأسرار (....) أردت تغيير الجو والعودة بصديقى القديم الى الحديث فى المسرح ، فابديت له الرغبة فى معاودة الكتابة للمسرح بطريقة جديدة واتجاه آخر وتأليف حقيقى بعد

الاطلاع والخبرة والدراسة التى اكتسبتها من الاتصال الثقافى بالفن والادب فى الخارج .. فقال لى باخلاص وصراحة : اسمع كلامى لا تتعب نفسك ! هذا مجهود ضائع .. المسرح المصرى كمهدنا به قد انتهى ! ..

وقد صدق .. فالمسرح فى مصر وقتئذ كان فعلا قد مات ، ولم أحاول مرة أخرى الحديث مع ذلك الصديق القديم فى أمر المسرح (.....) على أن موت المسرح فى تلك الفترة أمر يدعو حقاً الى التساؤل عن أسبابه .. وما من شك ان تطاحن الاحزاب السياسية كان قد صرف الأذهان عن الفن وأهله .. كما أن الأزمة المالية التى اجتاحت العالم عامة ومصر خاصة حوالى عام ١٩٣٠ — ولعل هذا اهم سبب — قد أثرت فيما أثرت على المسرح » .

★ ★ ★

وعندما زالت اسباب الأزمة كان يمكن ان يعود المسرح لما كان عليه قبلها مسرحاً أجنبيا مقتبساً أو قد تم تمصيره ، لولا أن ظهر فى سماء الشرق من يؤسس مسرحاً عربياً يحظى بالتقدير والاحترام والدراسة مما جعل الممثل نفسه يكتسب نفس التقدير والاحترام بعد أن كان يسمى « المشخصاتى » ولا تقبل شهادته فى المحكمة ، فجاء تأسيس المسرح العربى بنصوص ادبية ، بدات « بأهل الكهف » القائمة على قصة مستمدة من وحى القرآن لا من أساطير الغرب وتراجيديا الاغريق كما كان ينتظر من توفيق الحكيم وهو المطلع على الآداب العالمية فى باريس ، صحيح انه قد تأثر بكل ذلك ولكن تأثره بالنبع كان أقوى وابقى .

★ ★ ★

ورغم ان « اهل الكهف » قد عرضت على المسرح وكان من المنتظر ان يحضر توفيق الحكيم ليلة الافتتاح الا انه آثر الهرب والفرار من تلك الموقعة بينه وبين الجمهور لاعتقاده أن « مسرحه » يقرأ ولا يعرض ، احساساً منه بأنه يفشل الفشل الذريع ، ولكن والده قد حضر الافتتاح وعاد ثائراً جداً ضد ابنه توفيق الحكيم متهما اياه بالجمود والكفر قائلا له : كيف وصل بك الأمر بأن تفعل ذلك بمقدساتنا !!

قال والد الحكيم لابنه ذلك رغم أنه هو نفسه متحرر الفكر ويكاد ينحرف فى مناقشاته الدينية الى « مزالق الكفر » ، وذلك حسب اعتراف الحكيم نفسه فى « سجن العمر » وحين ينبه والده فانه يفرق له بين الايمان المستقر فى القلب وبين « شطحات التفكير التى هى شىء آخر »» وهذه الثنائية المختلفة بين القلب والفكر ، هى مما ورثه الحكيم عن والده حتى نهاية حياته ، وان كانت النزعة الروحية لم تفارق أعماله بدرجة أو بأخرى ، ولعل مسألة القلب المؤمن ، والعقل المفكر ، وما قد يصل بصاحبه الى نوع من الشطحات ، ليست مسألة قاصرة على الحكيم فقط بل يشاركه فيها طه حسين أيضاً ، والعقاد ، بل وكل المفكرين ، وان كان ذلك بدرجات متفاوتة لا يمكن تحديدها .

★ ★ ★

أما توفيق الحكيم فقد شاهد مسرحيته « اهل الكهف » فى الليلة الرابعة ، ونتركه يعلق بنفسه ويصف مشاعره من خلال رسالة منشورة (*) له الى مدير الفرقة القومية يقول فيها :

عزيزى الأستاذ خليل بك مطران

أحب أن أثبت كتابة تهنئتى اياك بهذا الفوز المبين . لقد شاهدت رواية الافتتاح فى ليلتها الرابعة وتبينت أن الأمر اجل من أن يكون أمر قصة وفرقة انما هو أمر اقرار مذهب من مذاهب التمثيل لم يكن مالوفاً فى مصر والشرق العربى . فقد كان المعروف لجمهورنا من قبل ان المسارح تؤم للمتعة الرخيصة الزائلة ، لا للمتعة العقلية الباقية . حتى قصص شكسبير وأمثالها ما كانوا يشاهدونها لذاتها ولحوارها بل لما ادخل عليها من غناء والحان . أو لما جاء فيها من مواقف مثيرة تهز أعصابهم دون أن ينال حوارها الأدبى من أذهانهم منالا . الى ان أمسك بالزمام امام الصناعتين ، وكانما أراد القدر أن يقيمه امام صناعة ثالثة فبين للناس موقعة حاسمة : أن التمثيل ان هو الا فصل مجيد من كتاب الأدب العالى . نعم لقد كانت موقعة لا بينى انا وبين الجمهور كما قال صديقنا الدكتور طه حسين . ولكنها بينك أنت وبين المذهب السابق البائد للتمثيل ، وقد كان لك النصر ، وبانتصارك أنتصر الفن الحقيقى .

(*) فى جريدة الجهاد .

فأهنئك مرة أخرى ، وأهنىء معاونيك ، ومحققى فكرتك البارعين ، مخرجي وممثلى الفرقة القومية الزاهرة .

والســــــلام

القاهرة فى ١٧ ديسمبر سنة ١٩٣٥
المخلص
توفيق الحكيم

★ ★ ★

ولكن ما هو الفرق بين « حكيمنا » مؤسس مسرحنـــا العـــربى ، « وشكسبيرهم » ؟

فى مداعبة طريفة يجيب طـــه حسين ، وهو يعقد مقارنة بين مسرح الحكيم ، ومسرح شكسبير ، بعد حضوره لعرضين متتالين لكل منهما :

يقول طـــه حسين (*) :

وفوز آخر عظيم ادركته الفرقة القومية للتمثيل فيما تمثل من قصص شكسبير ، بعد ذلك الفوز الذى ادركته فى الأسبوع الماضى حين مثلت قصة أهل الكهف . ولكن فوز هذا الأسبوع اصرح واجلى وابهر من فوز الأسبوع الماضى . لأن ملهم الممثلين ومنطقهم ومحركهم هو شكسبير ، وما اظن ان ذلك يغضب الأستاذ توفيق الحكيم فليس على أنبه النابهين وأنبغ النابغين واكتب الكتاب باس أن يتقدم عليه شكسبير . والحق أن قصة أهل الكهف على ما فيها من جمال وروعة واستحقاق للبقاء وللبقاء الطويل ، لم تكن قد انشئت للملعب ، فحسب الممثلين فخراً وفوزاً أنهم قد حملوا الملعب على قبولها واجروها امام النظارة على ذلك النحـــو الجميل الموفق الذى وصفته للقراء يوم السبت الماضى .

(*) النص الكامل للمقـال فى كتاب المؤلف « أحاديث مجهولة لطه حسين » ــ دار المعـارف .

فأما قصص شكسبير فقد انشىء للتمثيل بل هو التمثيل نفسه ، سواء أجراه الممثلون فى الملعب أم خلا اليه القارىء فى الكتاب » .

ولم يختلف توفيق الحكيم مع طـــه حسين حول هذا الراى ، فالحكيم مقتنع منذ مسرحيته الأولى « أهل الكهف » بأن مسرحه للقراءة لا للعرض، ومع ذلك فان مسرح الحكيم يظل قابلا للعرض .

وقبل أن نترك « أهل الكهف » علينا ان نقفز بعد ذلك بسنوات حتى نصل الى عام ١٩٤٠ ، حين ترجمت هذه المسرحية ونشرت بالفرنسية عام ١٩٤٠ ، ليتم بعد ذلك عرضها هناك ، وهو ما يتحدث عنه توفيق الحكيم بسعادة وسرور فى رسالة له الى طـــه حسين كتبها اليه مـــن باريس دون ان يؤرخ للسنة التى كتبت فيها ، وهى رسالة على كل حال تدلنا على حرص توفيق الحكيم على أن يتابع نشاطه ، لطـــه حسين ، ويطلعه على ما يخصه اولا بأول فى رسائل مجمله يتـــرك تفصيـــلاتها ليحكيها له حين يلتقيان ، يقول الحكيم فى رسالته :

باريس فى ٣ يونيو

صديقى الجليل

تحياتى من باريس ، فقد وصـــلت اليها منذ يومين ، بعـــد أن شاهدت اهل الكهف تمثل فى اطار رائع . والحديث عن ذلك يطـــول وساحتفظ به للقاء . ونحن الآن فى باريس . وهى المدينة التى يسمونها مدينة النور . وهى اليوم ولا شك مدينة النار ، التى تذوب فيها تـــلال الذهب . وانا ليس معى من الذهب غير فرنكات من الورق ، تطير من يدى ولا تنتظر حتى تذوب . لا اظن انى سأصمد فى باريس حتى آخر الشهر . سأحاول على كل حال .

اما بعد فانى ارجو ان تكونوا جميعا فى خير حال وان تبلغوا السيدة الكريمة اصدق تحيتى واحترامى ، وأن يقدرنى الله على الثبات فى باريس حتى ألقاكم فيها وانعم باللقاء .

وتفضلوا بقبول اخلص تحيات المخلص دائما .

توفيق الحـــكيم

★ ★ ★

ولم يقف الأمر عند حدود الاتصالات الشخصية ، بل تعداه الى اخبار الحكيم لطـــه بمشروعاته القادمة مثل كتابه عن « محمد » الذى بدات فكرته عندما طلب منه صاحب مجلة « الرسالة » د. احمد حسن الزيات ان يكتب مقالة عن « السيرة » سنة ١٩٣٤ بمناسبة اصدار عدد خاص عن « الهجرة » ، فكتب الحكيم فصلا عن « محمد الرسول البشر » ، عكف بعدها على كتابة فصول أخرى ضمنها كتابه « محمد » المنشـــور سنة ١٩٣٦ ، ويقوم شكله الفنى على الحوار من خلال الأحاديث النبوية الصحيحة منسوبة لرواتها طبقا لكتب السيرة المعتمدة عند ائمة المفسرين، دون تدخل من الحكيم ، سوى قصده الذى أراده من كتابه وهو أن ينبه المغالين المسرفين فى وصف النبى بما يخرجه عن بشريته التى اكد عليها القرآن ، الى أن مثل ذلك هو خروج على جوهر الدين والاسلام الحقيقى.

ويبدو ان توفيق الحكيم قد إخبر طــه حسين بعزمه على تاليف كتاب عن الرسول ﷺ ، فأرســل اليه يستفسر منه عن الزاوية التى سيطرقها فى كتابه ، فارسل اليه الحكيم رسالة باللغة الفرنسية عـــلى منزله بالزمالك ، ولا ندرى لماذا استعمل الفرنسية فى خطابه ، ولا ندرى كذلك لماذا كان يستعملها فى بعض الأحيان اللهم الا اذا كان المقصد هو التدليل على قدرتهما على التفاهم باكثر من لغة ، غير أن المثير للدهشـــة هو أن يفسر توفيق الحكيم لطـــه حسين طبيعة كتابه عن « محـــمد » بخطاب بالفرنسية ، ولا يوقعه باسمه بل بحروف من اسمه ، هكذا :
(T.E L.H.)

تقول سطور الخطـــاب :

صديقى العزيز

كتابى لا يســـتدعى ســوى مناقشـــة سيرة النبى - ﷺ - وأنا لا اتدخل فيه الا نادراً لتجنب تمويه حقيقة الشخصية التاريخية ، وهو عمل « سيناريو » أدبى اذا امكن تسميته هكذا .

المخلص

توفيق الحكيم

١٩٣٦/٢/٧



في ضيافة شهرزاد

«... أردنا اللهو بها ، ولكن من خلال تبادلنا الرسائل ، اكتشفنا أن «شهرزاد» هي التي سخرت مني ومن طه حسين...»

توفيق الحكيم

بلغت قمة الصداقة بين طـــه حسين وتوفيق الحكيم قمتها عـــلى جبال الالب بفرنسا حيث اجتمعا سوياً للاصطياف سنة ١٩٣٦ فى القرية الصغيرة « سالانش » احـــدى قرى جبال الالب الفرنسيـــة ، والتى تتوزع فيها عدة فنادق متوسطة الحال ، نزل فى احداها طـــه حسين فى شهر يوليو ١٩٣٦ ، ليلحق به توفيق الحكيم الذى كان قد ارســـل خطابا لطـــه يخبره فيه بأنه فى الطريق اليه ، وهذا يوضح لنا أن طـــه حسين كان كالحكيم ايضاً يخبر صديقه بتحركاته ويترك له عنـــاوين الاماكن التى ينزل فيها ، وما ان وصـــلت رســـالة الحكيم حتى حجز له طه حسين مكانا فى الفندق الذى يقيم فيه ،واعد له ما أراد من متطلبات صيد السمك التى يهواها .

ورغم أن توفيق الحكيم خبير بباريس وجنباتها الا أن طـــه حسين قد عرفه على مكان جديد لم يقربه من قبل ، وهو الجبـــل . والتقى الصديقان فكيف كان حالهما عند لقائهما ؟

★ ★ ★

حين وصل توفيق الحكيم كان موعد الغداء قد اقترب ، وكان طـــه حسين قد غادر غرفة سكرتيره التى يقضى فيها ما شاء من الوقت من أجل القراءة او الاملاء .

اما توفيق الحكيم فقد حمل بين يديه ما استطاع من صحف وكتب ، ومنذ وصوله وهو لا يصمت عن الحديث فى كل شىء واى شىء ، ولم يشغله تناول طعام الغداء عن مواصلة حديثه عن : الجبل ، والمناخ ، وقراءاته فى الصحف والكتب ، وأخبار النشـــاط الادبى فى مصر ، وفى امكانية ترجمة كتابه عن « شهرزاد » وتجسيدها تمثيلا على خشبـــة المسرح ، حتى اذا انتهى الغداء ، صار الحكيم مشغولا بالاعداد للصيد وهى هواية أراد أن يعوض بها فشله فى السباحة بعد ان كرهها بسبب ابيه عندما اراد يوما ان يعلمه العوم فى الاسكندرية ذات صيف ، فلم يفعل غير ان جذبه من يده الى حيث يسبح هو فى الاعماق دفعة واحدة، فكان الطفل توفيق يتحسس القاع بقدمه الصغيرة فلا يجده فيرتـــاع ارتياعا شديدا ، وكان كلما جاءت موجة يشعر كانها تقتلعه اقتلاعـــاً لتقذف به بعيداً عن والده ، فجاء العنف الذى اراد ان يعلمه به والده العوم ، ليضع بينه وبين البحر سداً منيعاً ، فلم يعرف البحر الا وحشاً ينتزعه موجه بعنف الى القاع العميق وهو يتجلد ويكتم صياحه حتى لا ينتهره ابيه ، كل ما فعله الطفل توفيق الحكيم آنذاك هو انه اقسم فى قرارة نفسه انها آخر مرة ، وانه اذا خرج سالماً فلن يضع قدميه فى ماء بحر أبداً ، وخرج وبر بهذا القسم ولم يعد بينه وبين البحر من صلة سوى محاولات للصيد .

يقول الحكيم على لسان « شهرزاد » فى « القصر المسحور » :
انى اعرف هذا الصنف من الرجال ، انه لن يصطاد سمكـــة فى حياته ، ولا احسب انه يذهب يوما الى بحيرة او نهر او بحر ، انما هو يخلق فى راسه كل هذه الرغبات ، ويعد للوصول اليهـــا المعدات ، ويغمر نفسه فى ذلك الجو الذى ابتدعه خياله ، حتى اذا كان على بعد خطوة من التنفيذ والحقيقة ، انهار حلمه ولم يعـــد يعنيه من الأمر شىء .

اما طـــه حسين فيصف فى « القصر المسحور » ايضا ، توفيـــق الحكيم الذى راى الجبل لأول مرة ، والثلج الأبيض الذى يغطيـــه لأول مرة ، فيقول انه « لم يخطر له قط ان الجبل الأبيض شىء يرى ، فلمـــا رآه كاد يخرج عن طوره لولا ان تمالك واصطنع الوقار وهو يقسم لنـــا

جهد ايمانه ليصعدن فيه وليبلغن قمته ، فاذا صعبنا ذلك قال فى براءة الصبى النقى : ملذا ؟ اليس يكفى أن اعدو اليه مع الصبح واعود منه حين ينتصف النهار فادرك معكم الغداء ؟! » .

وتقول « شهرزاد » لطـــه حسين :

اهو من السذاجة بحيث تصف لى ، فان كتابه يصوره معقداً اشد التعقيد .

فيقول طـــه حسين « لشهرزاد » : ستجـــدين عنده السذاجـــة المريحة حين تحتاجين الى الراحة ، والتعقيد المضنى حين تحتاجين الى الجد والتفكير » .

ومن مجموعهذه المداعبات المتبادلة بين طـــه والحكيم اكتملت فصول كتابهما المشترك « القصر المسحور » الذى كانت فيه « شهرزاد » هى البطل الذى جمعهما ، فقد مات « شهريار » جليسها وانيسها ، فصارت تبحث عن انيس وجليس ، وكلا من طـــه والحكيم يحاول الفوز بها دون الآخر ، عن طريق كيد كلا منهما للآخر عند « شهرزاد » ، وينتهز طـــه حسين الفرصة ليوجه نقده للحكيم على لسان « شهرزاد » على كتابـــه عن « شهرزاد » الذى قامت بسببه مشكلة عكرت صفو الصداقة بين الأديبين الكبيرين بسبب عدم رضاء « طـــه حسين » عن « شهرزاد » الحكيم ، وانتقده بسببها نقداً لاذعا ، أما فى « القصر المسحور » فقد كان معه رقيقا .

لقد فرقتهما « شهرزاد » حيناً ، وجمعتهما حيناً آخر ، ووضع كل منهما كتابا خاصاً عنها .

طـــه حسين كتب « أحلام شهرزاد » .

توفيق الحكيم وضع مسرحيته « شهرزاد » .

ثم اشتركا معاً فى كتاب عنها اسمه « القصر المسحور » .

ومن العجيب كما رصـــدت د. سهير القلماوى (*) — تلميذة طـــه حسين — أن الأديبين العربيين قد تأثرا بشهرزاد الغربية لا العربية ،

(★) فى كتابها : ذكرى طه حسين ـ اقرأ ـ دار المعارف .

بعد أن انتهت قصتها الخرافية أو أسطورتها ، لا شهرزاد العربية التي تقبل على الفداء ، نداء بنات جنسها ، ومعاناتها ، التجربة الموحية بكل عجيب من الصراع بين الأمل واليأس ، والخوف والاطمئنان ، والحب والكره ، وتأثر توفيق الحكيم وطـه حسين بشهرزاد الغربية تأثراً واضحاً يعترفان به ، ويذكره طـه حسين في « القصر المسحور » ، كما يذكره توفيق الحكيم في « زهرة العمر » .

ان السؤال : من انت وما حقيقتك الذي يردده الحكيم ويكرره من بعده طـه حسين (متأثراً به برغم ان المسرحية لم تعجبه) لا علاقة لـه « بشهريار » الذي روت خبره « الف ليلة وليلة » !

★ ★ ★

ولم يكن طـه حسين وتوفيق الحكيم وحدهما فوق جبال الألب ، فقد كان معهما برسائله الشاعر « مطران خليل مطران » المسئول عن الفرقة القومية التي افتتحت نشاطها بمسرحية « أهل الكهف » لتوفيق الحكيم ، وبلغ طموحه أن يفتتح الموسم المسرحي الجديد بمسرحية من تأليف طـه حسين الذي كان مقدراً له اشد التقدير ومعجباً بأدبه اعجابا شديداً ، ولم يك يخفى هذا التقدير وهذا الاعجاب سواء في خطاباته الى طـه حسين أو حين يقابله ، فقد كانت بينهما صداقة خاصة ، يحمل فيها كلا الطرفين للآخر مشاعر من المودة والاخلاص تلمسها في هذه القصيدة التي كتبها « خليل مطران » المعروف بـ « شاعر القطرين (مصر والشام) » ، اعجاباً بقصة « دعـاء الكروان » التي كتبها طـه حسين ، وعندمـا وصلته القصيدة علق عليها من املائه قائلا :

« أتيح لهذه القصة ان تبلغ من نفس شاعرنا العظيم خليل مطران موضع الرضى فأهدى الى هذه القصيدة الرائعة فضلا منه أتقبله فخوراً شكوراً . واكره أن أوثر به نفسي من دون الذين يحبون الشعر الرفيع ، بل اكره أن يحملني التواضع الكاذب على اخفاء هذه المـكرمة التي ان صورت شيئا فانما تصور نفساً كريمة وقلباً عطوفاً » .

وتدل كلمات طـه حسين على انه نشر القصيدة ، غير أن نص كلمات طـه حسين ونص القصيدة نفسها يغرينا باستعادتها ، لنستشعر روعتها التي وصفها بها طـه حسين .

يقول نص قصيدة خليل مطران التى لم يبعد بها الزمن عن تاريخ نشر « دعـــاء الكروان » التى قيلت فيها ، وكان ذلك سنة ١٩٣٤ :

دعـــــاء هذا الكــــروان الذى — خلدته فى مسمـــــع الدهـــــر
له صدى فى القلب والفكر مـــــن — اشهى متاع القــلب والفكــر
لكنه مشج بترجيعــــــــــــه — لما جرى فى ذلك القفـــــر
اذ تسكن البيداء وهنا فمـــا — ينبض الا مهج الســـــــفر
والليل فى التيه السحيق المدى — يطبــق جفنيـــه عـــلى وزر
والطـــائر المرتـــاع فى جـــوه — ينذر بالمأســـــاة فى ذعـــر
يرن ارنـــان سهـــام رمـــت — حيث رمت بالشعــل الحمــر
أسال دمعى خطـــب مطلولـــة — مقتولة فى زهـــرة العمـــر
جنى عليهـــا واهــم انـــه — يثـــار للعــرض وللطهـــر
وخـــامرتنى حسرة خامـــرت — شهود ذاك المصرع النكـــر
اليس للأرواح فى بثهــــــا — أواصر مــن حيث لا نــدرى
جوهرهـــا فـــرد واحساسهـــا — مشتـــرك فى النفـــع والضر
حادثة فى ريف مصر جـــرت — ومثلها فى الريف كم يجـــرى
قصت علينا قصصاً شائقـــاً — فى كلم أنقى من القطـــر
مسرودة سرداً عـــلى صفـــوة — افعل فى النفس من الخمـــر
بالغـــة العرب التى كاشفت — طه بما صـــانت من السر
مـــن أى روض يجتنى مثل مـــا — جنـــاه من ازهـــارك النضر

من أى بحـــر والمنى دره ... يصاد ما صاد من الـــدر

من أى تبر فى غـــوالى الحـــلى ... يصاغ ما صاغ من التبـــر

آيات طـــه نزلت بالهـــدى ... استعارت فتنـــة السحـــر

احدث ما جاءت به طرفـــة ... بديعـــة فى أدب العـــصر

جلت خيال الشعر فى صورة ... أغـــارت الشعـــر من النثر

★ ★ ★

ولم يقف الأمر بين عميد الأدب وشاعر القطرين عند حد الرســائـل بل كانا يلتقيان كما تدل على ذلك الرسالة التالية التى يقول فيها خليل مطران :

٣ مارس ٤٧

حضرة صاحب السعادة استاذنا
الأكبر مفخرة العلم والأدب .

الدكتور طـــه حسين بك

عدت من حلوان بعد اسابيع طوال تضيتها مستشفياً وقد خفت عنى العلة ولكنها لم تزل ، واشعر بضعف ما زال شديداً اخشى الا يمكننى من التشرف بزيارتكم يوم الأحد القادم فاعتذر على اســف شديـــد منى ، ولكننى اذا شعرت بتحسن لم أحرم نفسى نقع العلة من شـــوقى اليكم ، واعرف انكم ستغتفرون لى تلك المفاجاة .

ارجو تقديم احترامى الخالص لحضرة السيدة الفاضلة الكاملة عقيلتكم، وتحياتى لنجليكم النجيبين النابغتين ولا افرق بين الذكر والأنثى ذكـــاء وثقافة وطهارة أخلاق ، ثم أكرر لأستاذنا الأكبر آيات ودى واجلالى .

المخلص
خليل مطران



وبحكم هذه العلاقة الحميمة بين عميد الأدب وشاعر القطرين ، أراد مطران أن يخرج من طه حسين بمفاجأة للمسرح القومى الذى يديره ، فيلح عليه ويكثر فى الالحاح أن يؤلف مسرحية ، وطـه حسين يعتذر لعدم قدرته على الكتابة للمسرح لانه يتطلب قدرات خاصـة وظروفـاً خاصة لا تتوفر له ، ولكن خليل مطران لا يفقد الأمل ، فيقترح على طـه حسين أن يشترك معه توفيق الحكيم فى تاليف المسرحيـة المنتظـرة ، فلا يجد طـه حسين مفراً من مطران فيعده فى مفاتحة الحكيم فى الأمر ، فقال له :

انه لا يحسن كتابة الحوار التمثيلى ، ولذلك يطلب منه الاشتراك فى تاليف المسرحية التى يريدها « خليل مطران » ، فيتفقان على اللقاء فى هذه القرية الجبلية لاتمام هذا المشروع ، وعندما يذكر توفيق الحكيم ، طـه بما اتفقا عليه ، يجد الحكيم ، طـه مشغولا بمشروعه الخاص عن « المتنبى » ، ولعل ذلك ما جعل اشاعة تصل الى « خليل مطران » عن أن المسرحية التى سيشترك فى تاليفها طـه ، والحكيم ، تدور حول « المتنبى » مما جعل « خليل مطران » يسرع بكتابة رسالة الى توفيق الحكيم يقول فيها :

« أفكر طويلا فيك وفى استاذنا الجليل الدكتور طـه بك ، واتصوركما جالسين متعاونين فى ابراز قصة المتنبى على ما سمعت فاغبطكما واتمنى لو تسنى لى السفر وكنت كاتب يدكما . انا لنرقب منكما ما نرقب ، والفن التمثيلى مشوق اشد الشوق الى الفجر الذى ستطلعانه عليه فى اللغة العربية بعد ليله الدامس الطويل فبارك الله فيكما واتاكما الصحة والقوة . وغاية ما أرجوه هو أن يمتد بى اجلى لاكون من اشهاد فوزكما ان لم يتيسر لى أن اكون من خدمته » .

★ ★ ★

ولكن طـه والحكيم كانا مشغولين فى المداعبة التى انتهت الى كتاب «القصر المسحور» ، ورأى الحكيم أن يصرف نظر «مطران» عنهما وعن المسرحية التى لم تكتب ، فطلب اليه أن يرسل اليهما ما كان قد كتبه هو من مسرحية كانا يعلمان أنه شرع فيها ، وهى عن « هارون الرشيد » ولكن « مطران » قال فى رسالته انه غير مستطيع ارسال شىء منها ، فان

ضعف صحته وتقدمه فى السن يجعله لا قبل له حتى بالنظر الى أوراقه القديمـــة .

★ ★ ★

اما علاقة طـــه حسين بالمسرح فقد ظهرت فى ترجمته لبعض روائع الإغريق ، وفى عضويته للجنة ترقية المسرح ، غير أن معاداة وزيـــر الشئون الاجتماعية لطـــه حسين بسبب مهاجمته لادارة الدعاية بالوزارة — كما سيأتى تفصيله فيما بعد — جعل الوزير يقوم بتعديل اللجنـــة لابعاد طـــه حسين عنهـــا ، مما جعل طـــه حســـين يسرع بالاستقالة من كل اللجان التابعة لوزارة الشئون الاجتماعية حتى يكون الأمر بيـــده لا بيد عمرو ، كما يقول فى رسالته الى « خليل مطران » والذى كـــان سببا فى اثنائه من قبل عن العدول عن تقديم استقالته من لجنة ترقيـــة المسرح ، حتى لم يعد هناك بد مما منه بد ، بعد أن اظهر وزير الشئون الاجتماعية نواياه صريحة واضحة لا لبث فيها ولا التواء ، ضـــد طـــه حسين الذى يقول فى رسالته لخليل مطران :

صديقى العزيز مدير الفرقة القومية لعلك تذكر أنى كنت ملحـــاً فى الاستقالة من لجنة ترقية المسرح ولم يمنعنى من ذلك الا الحاحك عـــلى فى البقاء والا حرصى على ايثار الذوق فى ألا أستقيل فى الوقت الذى دعيت فيه اللجنة الى الاجتماع فى منزل سعادة الرئيس .. وقد تلطف حضرة صاحب المعالى وزير الشئون الاجتماعية فسبق الى ما كنت اريـــده ، واعفانى من عضوية هذهاللجنة الموقرة فله على ذلك اجمـــل الشـــكر واصدقه . وانما اكتب اليك هذا الكتاب لأشكر لك ولحضرات الزملاء حسن رعايتكم لى أثناء عملى معكم ، ثم لأبلغك أن هناك لجنة لعل صاحب المعالى الوزير لم يعرف انى عضو فيها وهى لجنة القراءة ، وما احب ان اكلفه تعديل هذه اللجنة واعفائى من العمل فيها ، فارجو أن تبلغه وتبلغ لجنة ترقية المسرح انى مستقيل من لجنة القراءة بيدى هذه المرة لا بيد عمرو .

ولك منى أصـــدق التحية
واخـــلص الـــود .
٧ نوفمبر ١٩٣٩ .



ولم يخرج الى النور مشروع المسرحية التى تمناها خليل مطران من طـه حسين وتوفيق الحكيم ، اللذان انشغلا بشهرزاد وبقصرها المسحـور .

وفى شهر أغسطس ١٩٣٦ ذهب طـه حسين وأسرتـه ، ومعهم توفيق الحكيم الى قرية « كمبلو » ، ثم ترك الحكيم ، طـه ، ليكمل الأخير بقية « القصر المسحور » و « المتنبى » ، مما شغله عن مراسلة توفيق الحكيم ، فراح يعتذر له فى رسالة بعث بها اليه فى ٢٥ أغسطس ١٩٣٦ ، على « سالزبورج » بالنمسا حيث اقام الحكيم هناك بعض الوقت لحضور « المهرجان الموسيقى » المقام هناك حيث كانت تقام حفلات الموسيقار « توسكانينى » ، وتعرض مسرحية « فاوست » « لجوته » ، من اخراج « ماكس راينهارت » ، ذلك بينما كان طـه حسين مشغول بالقراءة والاملاء بشكل متواصل حتى اجهده التعب وأصابه المرض ، حتى اذا عاد اليه شىء من التحسن فى صحته املى خطابه الى توفيق الحكيم ، الذى قال له فيه :

« فلعلك تعذر هذا الصمت الذى أكرهت عليه اكراهاوانا مرسل اليك بقية « القصر المسحور » وقد وقعت كما ترى فى فصلين ، فاصبح الكتاب كله أن صح أن يسمى هذا كتابا — ستة عشر فصلا » .

ويضيف طـه متسائلا مترددا فى نشر الكتاب « لا ادرى ايستحق هذا الكلام الذى كتبته أنا على الاقل أن يطبع ويذاع وانت تعلم انى سيىء الظن جدا بكل ما اكتب ، فكيف بهذا الشىء الذى لم يتعود الناس قراءة مثله ، وهو كما تعلم مزاح كله ، ولا بد لى ان افكر فى طبع هذا الكلام او اذاعته من أن اعيد قراءته كله لارى ايستطيع ان يقف على قدميـه أم يحسن أن يهمل ، وحسبه أنه سلانا نحن فى أثناء اقامتنا فى الجبل » .

★ ★ ★

غير أن طـه حسين بالاتفاق مع توفيق الحكيم قد قرر طبع « القصر المسحور » ونشره على الناس ، حيث صدرت طبعته الأولى فى العام التالى ١٩٣٧ ، ولم يجد طـه حسين بأسا بعد ذلك فى ان يهدى

هذا الكتاب لمن يريد اهداءه لهم ، ومنهم كوكب الشرق أم كلثوم ، كما تدل على ذلك رسالتها غير المؤرخة الى طـــه حسين والتى تقول فيها .

سيدى الأستاذ الجليل طه بك حسين

حظيت بمؤلفكم « القصر المسحور » الذى تفضلتم باهـــدائه الى فاكبرت منكم ذلك العطف الكريم ، ولا شك عندى فى أننى سأجد بين طياته غذاء يضاعف شكرى ويحفظه لكم فى نفسى أجمل الذكريات — ادامكم الله منارا للعلم والأدب .

أم كلثوم

ابراهيم

★ ★ ★

ولم يكن طـــه حسين وتوفيق الحـــكيم وحـــدهما اللذان تاثـــرا « بشهرزاد » ، فالشعراء أيضا تاثروا ومنهم العقاد ، ومن شعراء المسرح الشعرى تاثر كثيرون ومنهم « عزيز اباظة » الذى اختلف معـــه طـــه حسين حول مسالة عرض القصص التمثيلية شعراً ، وسنتبين ذلك من خلال اهداء عزيز إباظة لمسرحيته الشعرية « شهريار » — الى طـــه حسين — والذى يذكر فيه أن طـــه حسين كان له بعض الفضل فيها ، فيقول فى اهدائه المطول :

« الى الأستاذ الكبير الدكتور طـــه حسين
(وما أريد أن اخفى على صديقى
الأستاذ عزيز أباظة أنى
لست من الكلفين بالقصص
التمثيلية التى تعرض على الناس
شعراً فى هـــذه الأيام ،
وشعراً عربيا بنوع خاص)

هذا كلام قلته فى مقدمتك لمسرحيتى « غروب الأندلس » وعـــرفة الناس عنك . ولكننا مع ذلك — زميلى وانا — نقدم لك هذه المسرحية الشعرية « شهريار » هدية مرفوعة . وما نظن ان لك حيلة الا ان تقبلها .

ولعلك تذكر انك منذ سنوات كتبت قصة قصيرة عن « شهرزاد » وأختها « دنيازاد » ، وتفضلت فاهديتها الى . فظللت منذ حظيت بهذا الايثار احاول أن افرغ لمعالجة تلك الأسطورة الرائعة ، ولكن شواغـــل الحياة تتجسم وتترادف فاهمل وامهل ، ثم واهانى بعد ذلك صديقى الأستاذ « عبد الله البشير » بمسرحيته عن « شهرزاد » كتبها بالانجليزية ليمثلها طلبته بمعهد المعلمين فاحتشدنا لهذا الموضوع على بعض هديك فكانت هذه المسرحية .

فاذا نحن اهديناها اليك . فذلك لأنك الى جانب مكانك السامق فى سماوة الأدب صاحب وحيها وباعث فكرتها .

فانظر كيف تتضافر الأسباب لتجعل حتما من الحتم أن يحمل اليك بعض ما تكره أو على الأقل بعض ما لا تحب .

وكانى اشهدك الآن يا استاذى الجليل وانت تضرب كفاً بكف . بل لكانى اسمعك مخافتاً تتمثل بقول الحارث بن عباد :

لم اكن يوما من جناتها علم الله   وانى لحرهـــا اليوم صـــال .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مارس ١٩٥٥

عزيز اباظـــة

★ ★ ★

ولم تكن « شهرزاد » فى حياة طـــه حسين وتوفيق الحكيم مجـــرد وسيلة عبث ولهو ، بل كانت اداة للتنبيه الى الظلم ، ورمزاً لمقاومة

الظلم ، فى أيام سود لم يكن هناك بد معها من الرمز والتورية ، على لسان « شهرزاد » التى عاشت فى مكان غير المكان ، وزمان غير الزمان، ولكن كلماتها التى أنطقتها بها طـه حسين ، أو توفيق الحكيم ، أو العقاد ، أو من بعدهم عبد الوهاب البياتى ، وغيرهم من الأدباء والشعراء ، هى كلمات تدل على الزمن الحاضر فى المكان الحاضر .

فشهرزاد طـه حسين تقول للملك :

« الم يخطر لك ان للشعب حقوقاً يجب أن تؤدى اليه ،
وان اوقات الملوك ليست خالصة لهم من دون الرعية ؟ » .

قال طـه حسين هذا الكلام فى « أحلام شهرزاد » فى وقت كان فيه ملك مصر عابثاً لاهياً عن شعبه ، بمغامراته وملذاته .

أما توفيق الحكيم فقد سمع الملك نفسه بكتابه عن « شهرزاد » وكانت مشكلة أراد الحكيم الهروب منها .

يقول توفيق الحكيم (*) :

جاء ذات يوم مدير الأوبرا — كان ايطاليا يعمل مربيا فى القصر — واسمه « كانتونى » ، الى وزارة المعارف ، وكنت مديراً للتحقيقات ، وقال لى :

كنت مع جلالة الملك فاروق ، وسألنى : تعمل ايه يا « كنتونى » ؟

فأجبته : اقرأ الترجمة الفرنسية لمسرحية « شهرزاد » ورأيى أن اضع لها النوتة الموسيقية لكى نقدمها على المسرح .

فقال لى الملك : لم اقرأ هذه المسرحية .

وسمع الحديث « العشماوى بيه » وكيل الوزارة .

(*) مجلة الوطن العربى ١٩٨٤/٢/٦ .

فقال : يا خبر . . ده أمر رسمى بتقديم نسخة من « شهرزاد » ومهداة بخط يدك الى صاحب الجلالة .

وتهربت بهذا الجواب : دعنى أولا أفتش لك عن نسخة المسرحية .

وقمت الى مكتبى وعثرت على نسخة فجعلت اقلب صفحاتها . وقلت فى نفسى : وهل سيفهم الملك فاروق المحدود الثقافة ما كتبت ؟

اننى لست من هؤلاء الكتاب الذين يرسلون بنسخ من نتاجهم الى الملوك والرؤساء لمجرد الاهداء ، فلم افعل هذا قط فى حياتى ، وأنا اقدر القادة الذين يقرأون ، ولا أهدى كتبى الى أشخاص اعرف سلفاً انهم سيكتفون بركنها لمجرد الزينة فى زوايا المكتبات ، كما أننى لا أهدى أبدا كتاباً بالمراسلة لأشخاص لا اعرفهم .

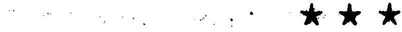
المهم أن « العشماوى بيه » نسى حكاية « شهرزاد » ، واحيل « الكانتونى » الى المعاش ، ولم أرسل الكتاب الى فاروق .

نعم انى ادعو الأدباء والمفكرين الى النأى عن الحكام فذلك يعطيهم حرية النقد الموضوعى البناء » .

★ ★ ★

أما طه حسين فقد كان له منهج آخر يرى الاتصال بالملوك والأمراء واهدائه كتبه لهم ، واعلان ولائه لهم ، كما حدث اثناء العصر الملكى .

ويدافع الذين يتبنون وجهة نظر طه حسين فى هذا الشأن ، بأن ذلك أيضاً كان مقترناً بمناهضة طه حسين لذلك النظام ، ولا معنى لهذا التناقض — فى رأيهم — الا ان طه حسين كان يفعل ذلك ذراً للرماد فى العيون ، من أجل ان يحقق للشعب — وهو آمن شر الحكام — مكاسب أكبر فى التعليم والثقافة .



ورغم خدمة الظروف لتوفيق الحكيم فى الالتزام بمبدئه بعدم اهداء كتبه الى الحكام ، ابتعاداً بنفسه عنهم ، ألا أن عزلته هذه لم تكن انعزالا للمفكر عن اى نشاط سياسى او اجتماعى ، أو كما يقول هو بنفسه فى مذهبه « التعادلية » :

فالعزلة التى دعوت اليها هى العزلة عن السياسيين لا عن السياسة ، وعن الاحزاب لا عن المجتمع » .

ويتذكر توفيق الحكيم (*) :

نشرت مقالا جعلت فيه الملك فاروق فى صورة « الملك شهريار » المستهتر وهو غارق فى لهوه وعبثه وجنونه ، فجاءته النصيحة فى صورة « شهرزاد » العاقلة تقول له ان يفيق من مباذله وملذاته ويلتفت الى شعبه ، ويضع فى يده الحرية التى تمكنه من النهوض ومن اصلاح احواله .. وكلام من هذا القبيل استلفت النظر ، وقابلنى وقتئذ النائب العمومى « محمود بك منصور » فى محل « جروبى » وقال لى : خذ بالك هذا المقال عن « شهريار » ... فلم اجعله يتم وقلت له : ما له ؟ انه عن ملك الف ليلة وليلة . فابتسم ابتسامة ذات معنى وقال : انت فاهم وأنا فاهم .. المهم أن تكون حريصاً ، واقولها لك كصديق » .

★ ★ ★

وهكذا كانت « شهرزاد » صديقاً مشتركاً لطه حسين وتوفيق الحكيم ، فى الجد واللعب ، فى السياسة ، والتسلية .

وتمر السنوات ولا ينسى طه والحكيم ذكرى لقائهما على جبال الألب ، فطه حسين يخاطب الحكيم وهو يقدمه للمجمعيين كعارف بمفاتيح شخصيته بعد أن خبرها وعرفها منذ التقيا على قمة الجبل ، فيقول له :

أنت أعطيت من نفسك صورة أخرى : صورة الرجل الذى لا يحسن أن يتصرف فى الحياة ، لا يستطيع أن يسافر الا أن يعينه على السفر

(*) حديث مع نفسى ـ الاهرام ١٩٨٣/٤/١٩ .

معين ، ولا يستطيع ان يركب السيارة دون أن يحسب لركوب السيارة الف حساب . فانت تشفق من كل شيء ، وتخاف من أيسر الأشياء ، وتسرع الى الصياح دون ان تحتاج الى أن تصيح ، كأن الدنيا من حولك نذر واهوال تريد ان تنوشك من كل قطر من أقطارها وتريد أن تلتهمك التهاماً . وانت تذكر كيف أتعبتنا واتعبت غيرنا من أصدقائك ، وكيف اتعبت نفسك حين أردت أن تأخذ الطائرة لتذهب الى « سالزبورج » لتشهد تمثيل احدى قصصك هناك . كنت مشفقاً من الطائرة قبل أن تركب الطائرة باكثر من شهر . وكنا ننفق من الجهد ما ننفق لنشجعك وتسليك ونغريك ونعطيك من قوة تعينك على أن تركب هذه الطائرة ، ونؤكد لك انك ستركب الطائرة وتعود منها سالماً .

والمدهش انك ركبت الطائرة وذهبت وعدت كما يذهب غيرك ويعود، ولم تكن فى حقيقة الأمر خائفا ولا ملتاعا ، وانما تكلفت كل هذا تكلفا ، ولست أنسى حين دعوتك للقائى على قمة جبل من جبال فرنسا فكتبت الى مرتاعاً ملتاعاً مشفقاً من الهول كل الهول ، وفى الوقت نفسه صورت نفسك صورة الانسان الذى لا يستطيع أن يترك باريس لأنه يحب لونا من ألوان الطعام لا يكاد يوجد فى غير باريس . اشفقت أن تصعد الجبل وكرهت أن تنفق أياماً لا تذوق فيها هذا اللون من الطعام .

انت اذن — طائفة من المتناقضات » .

وتمر السنوات ويتذكر توفيق الحكيم ايضا تلك الأيام التى قضاها وطـه حسين على قمة الجبل ، حين يقول فى حديث صحفى (*) قبل وفاته بسنتين :

« كنا نريد اللهو ، وكانت شخصية « شهرزاد » التى طغت على الشخصيات الأدبية فى الأدب العربى ، موضع هذا اللهو .

ان « شهرزاد » تعد أشهر الشهيرات ولا أحد ينكر معرفتها ، لهذا أردنا اللهو بها ، ولكن خلال تبادلنا الرسائل ، اكتشفنا أن « شهرزاد » هى التى سخرت منا ، سخرت منى ومن طـه حسـين ، ومن كـل الأدباء » .

(*) مع اقبال فهمى بصحيفة « الحياة الاسبوعية » فى ١٩٨٥/٤/١٣ .

محنة توفيق الحكيم
وطه حسين

«... للثقافة على أهلها حقوقاً
أيسرها التضامن والوفاء، و(....)
من الآثام في ذات الثقافة أن
يظاهر مثقف على مثقف، أو
يعين أديب على أديب.»

طه حسين

(١)

بعد عودة توفيق الحكيم من المصيف من فرنسا وجد نفسه منقــولا كمدير لادارة التحقيقات بوزارة المعارف الى ادارة اخرى صورية، تطورت الى « ادارة الدعاية والارشاد » التابعة لوزارة الشئون الاجتماعيـــة ، وذلك عقابا لتوفيق الحكيم على تطاوله على زعماء « الديمقراطية المزيفة» آنذاك ، وفيما بين سنتى ١٩٣٨ وسنة ١٩٣٩ التى وقعت فيها هـــذه التطورات ، كان لطـــه حسين موقف واضح مما مر به صديقه توفيـــق الحكيم ، فقد تضامن معه فيما أسماه « محنته » ، ولكنه هاجمه وهاجم وزارته بعنف عندما صار مسئولا عن « الدعاية والارشاد » .



كانت العادة فى تلك المرحلة من تاريخ مصر فى الثلاثينيات أن تدين كل حكومة جديدة سابقتها وتصمها وتنسب اليها ما امكنها من النقائص، ولعل ذلك سنة لا تزال آثارها مستمرة فى مجتمعاتنا حتى أن كل حكومة تبدأ عملها معلنة انها ورثت تركة ثقيلة وهموما وديونا ، وأنها ستعيـــد البناء من جديد ، كأن الدنيا لم تبدأ الا منذ تسلمها السلطة ، وأن العمل والتطور لم يبدآن الا معها ، وما سبقها كان جاهلية وتسيباً وعدم تقدير للمسئولية ، وأن عهدها هو العهد الذى طال انتظاره ، والذى ستبدأ معه بشائر الحرية والديمقراطية والرخاء والنهضة الجديدة التى سيتمتع فيها مواطنوها بالسمن والعسل ، بعد أن كانوا يعيشون فى « المـــلح والبصل » ، هكذا تزعم كل حكومة جديدة ، فتطعن سابقتهـــا ، وتبدأ من

جديد ، أو تهدم ما بنته الحكومة السالفة ، وهكذا نظل نبدأ من جديد دائما ولا ننتهى الى نتيجة ، فضاعت شخصيتنا ومسخت هويتنا لأن كلا منا ينكر فضل صاحبه ، ويعمل على محو اى انجاز لسابقه ، هكذا ارادوا من توفيق الحكيم كمدير للتحقيقات « بوزارة المعارف » عندما تغيرت الوزارة بأخرى جديدة ، وجاء على رأس « وزارة المعارف » « نجيب الهلالى » صديق الحكيم ، ففرح هو ووكيل الوزارة « العشماوى بك » ، صديقه هو أيضاً ، الى أن جاء يوم وطلب الوزير الصديق ، توفيق الحكيم وقال له بلهجة الجد(*) : ان مكتب الوزير السابق فى العهد البغيض — كما كانوا يسمونه — كان بؤرة للأعمال المشبوهة . وطلب الوزير من توفيق الحكيم بصفته مديراً للتحقيقات أن يصدر قراره باستبعاد موظفى هذا المكتب وايقاف مديره صديق الوزير السابق باعتباره رأس الفساد وان الفساد ظهر من التلاعب بمجانية التعليم التى ذهبت لغير مستحقيها .

وكان رد الحكيم انه كوكيل للنيابة (سابقا) لا يمكن له وقف او استبعاد أو أى اجراء ضد أى موظف الا بعد تحقيق . فكان رد الوزير عليه بلهجة جادة : حقق وبسرعة !

غير أن توفيق الحكيم نظر للقضية نظرة عادية ، بينما هى عند وزير العهد الجديد غير عادية لأنه متعجل لادانة الوزارة السابقة لتظهر وزارته فى صورة من يحارب الفساد ، واستبطأ الوزير ، توفيق الحكيم الذى اخبره أنه لا يزال يجرى تحقيقاته ، فسخر الوزير قائلا بشىء من الشدة : أى تحقيق ؟!

وطلب منه ايقاف مدير مكتب الوزير السابق قبل أى شىء !! واندهش الحكيم من منطق الوزير الذى قبل ان يكون وزيراً كان وكيل نيابة مثله ، فكيف سمح لنفسه ان يدوس على القانون الذى كان مدافعاً عنه ، بعد ان صار وزيراً ؟! ، وشكا الوزير لصديقهما المشترك « عشماوى بك » وكيل الوزارة ، من تهاون الحكيم ، فقد كان الوزير متعجلا ليعرض على مجلس الوزراء فى اجتماعه القادم نتيجة التحقيق الذى يدين الوزارة السابقة .

(*) توفيق الحكيم — حديث مع نفسى — الأهرام ، ١٩٨٣/٤/١٢ .

ولما لم يكن الحكيم قد انجز بعد شيئاً مما يراد منه ، فقد سرب الوزير الى الصحف ما خرجت به مانشيتاتها عن قضيــة المجانيــة والفســاد وتفصيلاته مما لدى توفيق الحكيم من أوراق عن القضيــة التى لا يزال يحقق فيها ولم تظهر نتيجتها بعد ، وطلب وكيل الوزارة من الحكيم ، العمل على عدم احراج صديقهما الوزير ، ولكن الحكيم مضى فى تحقيقه المعتاد دون أن يعبأ بأمور الصداقة ، مصمماً على ان يكون الحق وتكون الحقيقة هى الصديق الوحيد فى مثل هذا الموقف ، حتى اكتشف الحكيم انه حدث تزوير فى امضاء الوزير السابق على أوراق المجانية ، وتم تحويل القضية الى النيابة لتكتشف أن المتهم الحقيقى للتزوير كان شخصاً من غير موظفى الوزارة ، فتم تقديمه للمحاكمة وحكم عليه بالسجن .

وهكذا ظهرت الحقيقة ، ولكن بعد أن تم تشويه صورة الــوزارة السابقة ووزيرها بالباطل لاغراض سياسية .

★ ★ ★

وكان هذا المشهد وغيره مما دعا توفيق الحكيم الى نقد الأوضاع القائمة والمطالبة بالاصلاح ، فكان مما كتبه فى ذلك الوقت مقالاً فى ٢٠ أكتوبر ١٩٣٨ ، بمجلة « آخر ساعة » ، تحت عنوان « أنا عدو المرأة والنظام البرلمانى لأن طبيعة الاثنين فى الغالب واحــدة .. الثرثرة » ، وطالب باستثمار الأموال التى تنفق على البرلمان فى انشاء مصنع تحتشد فيه — بدل جموع الأعيان الموسرين — أفواج العمال المصريين العاطلين مؤكداً اننا بحاجة الى معمل انتاج لا معمل « كلام » يصيح فيه البعض « ويتثاءب » البعض الآخر . ومضى الحكيم فى اقتراحه منادياً بضرورة وجود حكومة قليلة التصريحات ، سريعة العمل ، وهذا يستلزم أن يكون أعضاؤها بدون لون حزبى واضح ، وأن يقل عددها بحيث تقتصر على أصحاب الخبرة فقط ، بل مضى الحكيم الى أبعد من ذلك حينما رشــح أسماء الوزراء للحكومة التى اقترحها ، واغضب الحكيم رجال السياسة كلهم بعد أن وصفهم بـ « زعماء الديمقراطية المزيفة » ، وانتظر الجميع من رئيس الحكومة « محمد محمود باشا » الذى هو فى نفس الوقت رئيس حزب « الأحرار الدستوريين » أن يقوم بفصل توفيق الحــكيم باعتباره موظفاً فى وزارة من وزاراته ، ولكن تدخل بعض أعضاء الوزارة من الأدباء والمفكرين كالدكتور محمد حسين هيكل باشا والشيخ مصطفى عبد الرازق.

حال دون فصل توفيق الحكيم ، وعملوا على حل الأزمة بوسيلة أخرى وصل التشاور فيها الى الخصم من مرتب الحكيم ، ولم يكن الخصم يبيح للوزير بأكثر من خمسة عشريوما ، فى الوقت الذى قرر فيه الحكيم الاستقالة ، غير أن أصدقاء له نصحوه ان يظل فى موقعه ويتمسك بمواقفه .

★ ★ ★

وسافر الحكيم صيف عام ١٩٣٩ ليعود من مصيفه مع طه حسين ليجدهم قد انشأوا ادارة جديدة انشاء مفتعلا صوريا اسموها « ادارة التمثيل والموسيقى » ، لينقلوا الحكيم اليها بعيداً عن « أدارة التحقيقات» التى أرسل موظفوها مبرقين الى توفيق الحكيم يخبرونه بهذا النقل وهو لم يزل بعد فى مصيفه ، ويطلبون منه الحضور بسرعة ، فعاد ليجد نفسه أمام الأمر الواقع مديراً على الورق لادارة لا اختصاص لها .

وكان ممن وقف بجوار الحكيم ، « حفنى محمود » عضو البرلمان الذى هاجمه الحكيم ، وهو فى نفس الوقت شقيق رئيس الوزراء « محمد محمود باشا » مذكراً « حزب الأحرار الدستوريين » الذى يراسه أخوه بمواقفهم النبيلة من الشيخ على عبد الرازق أثناء ازمته فى كتاب « الاسلام واصول الحكم » ، ومن طه حسين أثناء ازمة كتابه « فى الشعر الجاهلى » ، وكلهم كانوا موظفين كتوفيق الحكيم ، متسائلا عن هذه الديمقراطية التى لم تكن تمارس كمبدأ للجميع ، فكل حزب يطبقها حسب مصالحه الخاصة .

ورغم أن زملاء توفيق الحكيم الأدباء فى الوزارة قد انقذوه من الفصل، الا ان المجتمع الادبى قد التزم الصمت ، مما جعل الحكيم يشكو فى مجلة « الرسالة » ما أسماه بالاجراءات المهينة التى اتخذت ضده دون أن يجد فى عالم الادب من يدافع عنه ، فقد خرست كل الجرائد التى طالما رفع صوته على صفحاتها ، مؤكداً « انهم لم يدركوا الخطر الذى يهدد الأدب والأدباء اذا هم شعروا يوماً أنهم لا يستطيعون ان يخرجوا ما فى نفوسهم».

واحس توفيق الحكيم بأنه فجع لا فى شخصه ولكن فى مركز الاديب فى الشرق ، وان المكانة الأدبية وهم من الأوهام ، وان الادباء أنفسهم هم المسئولون فى الغالب عن انخفاض شأنهم لخذلان بعضهم البعض .

لقد كانت ازمة حقيقية لتوفيق الحكيم جعلته يترك شقته ويعود ليعيش من جديد شريداً كما يستحق اديب فى الشرق ان يعيش ، حسب تعبيره .

وراح الحكيم يكتب عن الديمقراطية ومستقبلها فى مسرحية « مشكلة الحكم » عام ١٩٣٩ ، وكتب عنها طه حسين فى مجلة « الثقافة » واشار الى ما اسماه « محنة » توفيق الحكيم التى أوحت بها . غير أن الحكيم راى ان طه حسين واى ناقد او باحث آخر لم يفطن الى ما فيها من تنبؤ او رأى بأن فشل الديمقراطية يؤدى الى الديكتاتورية . واستشهد توفيق الحكيم بمقولة رئيس وزراء فرنسا « فلاندان » الذى صاح يوما قائلا :

ان البرلمان الفرنسى لم يعد له فى فرنسا اعتبار فقد كف عن مراقبة اعمال الحكومة بالمعنى الحقيقى ، انما الحكومة اليوم تحكم ارتكاناً على شبه توكيل من اغلبيتها البرلمانية » .

وقد وجد الحكيم فى هذا القول انطباقا على ما يحدث فى مصر (الثلاثينيات) ، فالحصول على اغلبية برلمانية ، تمنح الحكم شبه المطلق .

وهذه هى الديكتاتورية المقنعة فى صورة ديمقراطية .

ودعا توفيق الحكيم الى « العاصفة المباركة » التى تأتى « بالمبادىء الصحيحة السليمة » لتقضى على « الفساد — الذى — جاء من عاصفة جائحة لمبادىء شوهت وأسىء فهمها » .



وجاء اول سبتمبر من سنة ١٩٣٩ واذا بالحرب العالمية تقوم وتسقط وزارة « محمد محمود باشا » ، وتنشأ وزارة الشئون الاجتماعية وتقسم

الى ادارات تضم اليها أشتات الادارات المشابهة فى الاختصاص والموجودة فى الوزارات الأخرى القديمة ، وكان من بين ادارات وزارة الشئون الاجتماعية ، الجديدة ، ادارة سميت « ادارة الدعاية والارشاد » كان من اختصاصها : المسرح والموسيقى والسينما والاذاعة والموالد ! ونحو ذلك ، وعلىّ هذا نقلوا توفيق الحكيم فى الحال من « وزارة المعارف » ، الى « وزارة الشئون » ، وبهذه الطريقة تخلصت « وزارة المعارف » من توفيق الحكيم .

ومن العجيب أن وزارة الشئون الاجتماعية كانت هى احدى بنات أفكار توفيق الحكيم نفسه ، والتى اقترح أنشاءها فى مقاله الذى هاجم فيه الممارسة الخاطئة للحياة الديمقراطية ، فاذا بهذه الوزارة التى اقترحها هى الحل الذى ساقته لهم للتخلص منه ، وهى العقاب له على جراته ، وستكون هذه الوزارة نفسها سببا فى خصام الصديقين طه حسين ، وتوفيق الحكيم ، وستكون وزارة الشئون الاجتماعية أيضاً سبباً فى محاولة عقاب طه حسين نفسه لجراته هو ايضاً ، وهنا نصل الى أزمة طه حسين مع وزارة الشئون ، بل ازمته كذلك مع توفيق الحكيم الذى كان مديراً « لادارة الدعاية والارشاد » فى هذه الوزارة ، فى الوقت الذى هاجم فيه طه حسين هذه الادارة التى على راسها صديقه توفيق الحكيم ، وذلك لأن طه كان ضد الدعاية وضد الاعلان وما ينطويان عليه من خداع وزيف وباطل .

(٢)

بين أيدينا مقال أملاه طـــه حسين ليس له عنوان ولا تاريخ ، ومن المرجح أنه نشره ردا غير مباشر على انشاء « ادارة الدعاية والارشاد »، ولاهمية المقال وطرافته وصلاحيته كانه كتب للوقت الحـــاضر (الذى اصبحنا فيه أسرى للدعاية والاعلان) رغم مرور حوالى ستين عامـــا عليه ، وجدنا أنه من الضرورى أن نستعيد قراءتـــه تدبراً وتفـــكراً واستمتاعاً .

يقول طـــه حسين :

ضربت لسيف الدولة خيمة عظيمة عصفت بها الريح فقوضتـــها ، وكان الناس قالوا فى ذلك وتشاءموا به ، وسىء به سيف الدولة ، فقال المتنبى ، يعزيه ويسليه ويرد اليه التفاؤل والاستبشار :

ايقـــدح فى الخيمة العـــذل وتشمل من دهرهـــا يشمـــل

وتعلو الذى زحـــل تحتـــه محال لعمـــرك ما تســــال

فلـــم لا تلـــوم الذى لامهـــا وما فص خاتمـــه يذبـــل

تضيق بشخصك أرجــــاؤها ويركض فى الواحـــد الجحفـــل

وتقنر ما كنت فى جوفهـــا ويركز فيها القنـــا الذبـــل

وكيف تقـــوم على راحـــة كأن البحار لهـــا أنمـــل

ثم قال :

رأت لون نـورك فى لونهـا كلون الغـزلة لا يغسـل
وأن لها شرفـاً باذخـاً وأن الخيام بها تخجل
فلا تنكـر لهـا صرعـة فمن فرح النفس ما يقتل .

واكبر الظن ان سيف الدولة قد رضى عن هذا الشعر وهش لقائله ، واكبر الظن ايضا إنه قد أثابه عليه ثوابا حسناً . ولكن الشىء الذى يشك فيه كل الشك هو أن أبا الطيب قد خدع سيف الدولة بهذا الشعر عن الحقيقة الواقعة وهى أن الريح قد عصفت بخيمتـه العظيمـة فقوضتها ، فصرفه عن أن يضيق بالذين أقاموا له هـذه الخيمة فـلم يحسنوا اقامتهـا اما لانهم لم يثبتوها تثبيتا تمتنـع به على الريح واما لأنهم لم يوجهوها توجيهاً تقاوم به عصف الريح .

وما أشك فى ان ذكاء سيف الدولة كان اعمق وانفذ من أن يتجاوز بهذا الشعر قدره فيصدقه ويطمئن اليه ، بل ما أشـك فى ان المتنبى نفسه لم يخطر له ان يغير رأىّ سيف الدولة فى الذين اقاموا له خيمته او ان يقر فى نفس سيف الدولة أن الخيمة سقطت لأن شخصه اعظم واضخم واعلى من أن تظله الخيام ، ولأن شخصه من نباهة الذكـر وجلالة القدر وارتفاع الشأن بحيث لم تكد الخيمة تشعر بأنها تهيأ له حتى اخذها الدل وملكها التيه فترنحت شيئا ثم خرت صريعا . انما قال المتنبى شعراً ولم يرد اكثر من أن يقول شعراً يعجب صديقه . وسمع سيف الدولة شعراً ولم يزد على ان سمع شعراً راقه واعجبه ، ومضت أمور الخيمة والذين اقاموها بعد ذلك على ما كان يجب أن تمضى عليه .

ولكن خياما كثيرة تقام عندنا ثم تعصف بها الريح فتصرعها لأطنابها واسبابها أو ترفعها فى الجو وتمضى بها مسافة تقصر أو تطول ثم تهوى بها بعد ذلك فى مكان سحيق ، ويقوم المعزون والمسلون او المروجون والداعون من الذين اقيمت لهم هذه الخيام مقام « المتنبى » من سيف الدولة فيقولون ما شاء الله لهم ان يقولوا ، ويزوقون ما شاء الله لهم يزوقوا دون أن يبلغوا من ذلك ما بلغ « المتنبى » ، ولكن سـادتهم يسمعون لهم ويطمئنون اليهم ويصدقون ما قالوا ويخدعون بمازوقوا ، ويؤمنون فيما بينهم وبين انفسـهم بأن خيامهم لم تصرع لأنها اقيمت على

وجه لا تستطيع معه مقاومة الريح ، وانما صرعت لانهم كانوا اكبر من أن تظلهم الخيام ، ولأن همومهم كانت ابعد من أن تحتويها الخيام .

والظريف أن الذين تقام لهم الخيام والذين يغرونهم عنها حين تصرع يصدقون انفسهم ويخدعون عنها فلا يحتاجون الى ان ينبههم النـــاس الى انهم يحاولون عبثاً أو يقولون شعراً لأن ايمانهم بانفسهم وثقتهـــم بعقولهم ورضاهم عن اعمالهم . كل ذلك قد اثر فى قلوبهم انهم أعظم من ان يخطئوا وافطن من ان يكذبوا وأمهر من أن يبلغهم الخداع من قريب او بعيد .

فكرت فى هذا كله عندما نظرت فى آثار هذه الظاهرة الجديدة التى منيت بها الحضارة فى حياتنا الحديثة وهى التى يسمونها « الدعاية » . فلست اعرف خطراً على الحق مهما يكن موضوعه يشبه هذا الخطـــر المنكر الذى نسميه « الدعاية » . وما رأيك فى وسيلة أصبحت غاية ، وفى اداة اصبحت غرضاً ، وفى شىء كان الأصل فيه أن يتخذ سبيلا الى الخير وطريقاً الى الاصلاح فطغى وبغى وعظم شره حتى لم يكفه أن ينحرف عن الجادة وأن ينتهى بالناس الى غير ما كانوا يطلبون منه .

لم يكفه ذلك واذا هو يصبح اصلا من اصول الحياة وركناً مـــن اركانها ، واذا هو يندس فى فروع الحياة كلها فيفسدها ويجعلها شراً ووبيلا .

كان الناس فى أول هذا القرن يعجبون بأمر هذه الظاهرة وينخدعون لها . وكان الباحثون عن ظواهر الحياة الاجتماعية يلاحظون تاثيرها العظيم فى امور التجارة ويحاولون تحليلها العلمى وتعليلها الفلسفى ، ولكنها لم تلبث أن تجاوزت التجارة الى غيرها من فروع الحياة ، فلم يقتصر امرها على الترويج لما يباع ويشترى وانما تجاوزت ذلك فاخذت تروج لما يقرأ وما يكتب ، واخذت تروج للآراء السياسية ومـــذاهب الناس فى الحكم ، واخذت تروج للحكومات القائمة وللأحزاب المختصة.

وما من شك فى أن هذه الظاهرة قديمة منذ وجدت الجماعة المنظمة ، ولكن ما من شك فى أنها قد بلغت فى العصر الحديث طوراً لم نقدر قط انها ستبلغه . والذى بلغ بها هذا الطور : « المطبعة » التى سهلت النشر ،

و « الصحف » التى انتظم ظهورهـا فى أوقـات معينة من العـلم او من الشـهر او من الأسبـوع أو مـن اليـوم فى آخـر الأمـر ، والتى اخذت تواجه الناس مصبحين وممسين فتلح عليهم بما تريد أن تلح عليهم به ، وتدعوهم الى ما تريد أن تدعوهم اليه . وماذا يصنع الناس وهم يدعون الى هذا الأمر اذا اصبحوا ، ويدعون اليه اذا انتصـف النهار ، ويدعون اليه اذا اقبل الليل ، ويدعون اليه حين يخلون الى انفسهم طامعين فى الراحة او راغبين فى الفراغ .

ثم لم يقف الأمر عند الصحف ، وانما نشأت « السينما » ، ونشأ « الراديو » ، والغيت مسافات الزمان والمكان ، واصبحنا خاضعـين للاعلان فيما نقرأ وفيما نسمع وفيما نرى . قـد احاط بنا من كل ناحية وسعى الينا من كل وجه ، وسلك الى قلوبنا وعقولنا من كـل منفذ . اخذ علينا المذاهب وسد علينا الطرق ، فنحن أسراه لا نخلص منـه الا حين نخلص من الحياة . فأى غرابة فى أن ندين له بالطاعة ونؤمن لسلطانه الذى لا يقاوم ، ونستجيب لدعائه الذى لا يرد .

ليست الغرابة فى ذلك وانما الغرابة فى أن نقاومه ونمتنع عليـه ونخلص من شره قليلا أو كثيراً . وما هى الا ان اصبح الاعلان كمـا قلت اصلا من أصول الحياة وركنا من أركانها ، لا تجارة ولا زراعـة ولا صناعة ولا علم ولا أدب ولا فن بدونه ، بل لا حكم ولا سياسـة بدونه . واذا الصحافة تصبح سلطانا ثالثا يضاف الى السلطان التشريعى والسلطان التنفيذى . واذا « الراديو » يريد أن يصبح سلطانا رابعاً يضاف الى هذه الألوان الثلاثة من السلطان . واذا الحضارة كلما تقدمت أضافت قيوداً الى قيود واغلالا الى أغلال حتى تصبح الحرية كلمـة لا تدل على معنى ، وغروراً لا يحتوى شيئا ، واذا نحن عبيد نحسب انفسنا سادة ، ومقيدون نظن انفسنا احراراً . نخضع لهذه السلطـات الأربع (*) والى سلطات اخرى ليست اقل منها تحكماً فينا واستئثارا بالأمر دوننا . وهذه السلطات محصورة فى أيدى قلة من الناس اليهم التشريع واليهم التنفيذ واليهم الصحافة التى تكون الرأى العام .

(★) كتب طه حسين هذا المقال ولم يكن التليفزيون قد ظهر الى الوجود بعـد ليصبح اقوى سلطة من السلطات المذكورة .

والظريف مع ذلك اننا نرى أنفسنا أحراراً سادة ، ونتبجح بتلك الحرية وهذه السيادة .

ونظن أنا نحن الذين ننتخب النواب والشيوخ ، وانما الاحـــزاب والصحف هى التى تصنع رأينا العام الذى ينتخب النواب والشيوخ ، ونظن اننا ناتى من الأمر ما ناتى ، وندع من الامر ماندع لا نصدر فى ذلك الا عن ارادتنا مع اننا انما نصدر عما اقرت الصحف والراديو والذين يلهمون الصحف والراديو فى نفوسنا من المذاهب والآراء .

وليست السياسة هي التى تعنينى حتى أفكر فى هذه الظاهرة الجديدة القديمة الخطرة ، وانما يعنينى شىء آخر اهم جداً من السياسة وامس منها بحياتنا العقلية وهو الثقافة التى تكون عقولنا وقلوبنا ، وتصور شعورنا ومزاجنا ، فقد تأثرت هذه الثقافة بالاعـــلان تأثراً شنيعـــاً منكراً .

★ ★ ★

وهكذا تعرض طـــه حسين لوزارة الشئون الاجتماعيـــة وادارة الدعاية بها من بعيد ، ثم انتقدها من قريب حين وصفها بأنها « وزاره لم تخلق غير مادة الكلام .. ومادة للدعاية » .

فكان من الطبيعى أن تعاقبه هذه الوزارة وكيف تعاقبه ؟ لقد استغلت وجوده كعضو فى « لجنة ترقية المسرح » التى صارت تابعة لها بعد انتقالها من وزارة المعارف اليها ، وقررت اقالة طـــه حسين من هذه اللجنة كعقاب له على جراته فى نقدها ، وفى مقال طويل طريف ساخر ذكر طـــه حسين قصته مع وزارة الشئون الاجتماعية وكيف أنه كان حريصاً على الاستقالة-لولا أن « صديقاً وفياً أو خليلا أمينا » هـــو « خليل مطران » ظل يحاول اقناعه بالبقاء ، فاستجاب له على غير رضى واقتناع ، وكانت النتيجة اقـــالته من « لجنة ترقية المسرح » ، ورأى طـــه حسين فى ذلك « عقوبة » ، أو كما يقول فى نص مقاله تحت هـــذا العنوان (والذى ننقـــله بصـــورته التى أمـــلاه بهـــا فيقول :

ولكنها عقوبة حلوة قد كنت أرغب فيها أشد الرغبة واحرص عليها اعظم الحرص ، ويردنى عنها ود الأصدقاء وايثار الذوق . فأما ود الأصدقاء فمن اشد الأشياء تأثيراً فى نفسى وصرفاً لى عن كثير مما أريد ، وحملا لى على كثير مما لا أريد حين يتصل ذلك بشخصى ولا يمس منافع الناس . وأى شىء أيسر من أن تحمل نفسك على بعض ما تكره أو تصرفها عن بعض ما تحب لترضى بذلك صديقا وفياً أو خليلا أميناً . والأصدقاء الذين أشير اليهم الآن يشهدون بأنى كنت شديد الرغبة فى الخروج من لجنة ترقية المسرح منذ نزلت عنها وزارة المعارف لوزارة الشئون الاجتماعية . وهم يعلمون أنى كرهت من وزارة المعارف تخليها عن « التمثيل » وهو فن من فنون الادب الرفيع الذى يجب أن تعنى به ، وتقوم عليه ، لوزارة ليس من شانها ان تعنى بالأدب الرفيع ، أو تنفق فيه جهداً قليلا أو كثيراً ، وانما انشئت لاصلاح ما هو دون ذلك وما هو فوق ذلك من الشئون التى تذهب فى واد بعيد جداً عن الوادى الذى تسلكه الفنون الجميلة . ولكن هؤلاء الأصدقاء رغبوا الى والحوا على فى أن أبقى عضواً فى « لجنة ترقية المسرح » ، وقال لى فى ذلك قائلهم كلاماً كثيراً لم يقنعنى ولم يكن من شأنه أن يقنعنى ، ولكننى مع ذلك نزلت عنده ايثاراً للود وحياء من رد الصديق . وأما ايثار الذوق فقصة أخرى فيها شىء من الدقة لعلها لا تبلغ بعض النفوس ، ولكنها تبلغ نفسى المتواضعة . ولعلها لا ترقى الى بعض العقول ولكنها ترقى الى عقلى الضئيل .

واعتقد ان فى مصر نفوساً متواضعة كنفسى ، وعقولا ضئيلة كعقلى ، تسيغ من أمر الذوق مثل ما اسيغ ، وتنبو من أمر الذوق عن مثل ما أنبو عنه .

فوزارة الشئون الاجتماعية حديثة عهد بالوجود ولها على الناس الحق أن يعينوها مشيرين عليها وناقدين لها . وليس مما يلائم الذوق أن تكون عضوا فى لجنة فتستقيل منها ، لأن أمر هذه اللجنة قد صار الى وزارة الشئون الاجتماعية على غير رأيك وهواك ، وانما الذى يلائم الذوق أن تبقى فى مكانك وتمضى فى عملك ناصحا لوزارة الشئون الاجتماعية كما كنت ناصحا لوزارة المعارف جاهداً فى خدمة الفن والأدب

ما وسعك الجهد ، فان استطعت البقاء على ذلك والنفع فيه لم تغير من امرك شيئا ، وان احسست العجز عن ذلك أو اشفقت منه كنت قد اعذرت وكان من حقك بل من الحق عليك ان ترفع استقالتك الى اللجنة أو الى الوزير .

واخرى لم تكن اقل من هذه القصة دقة ولا اجدر من هذه القصة بالمحافظة فيها على ما يلائم الذوق بل على ما يلائم الأدب .

وهى ان اللجنة التى كنت اريد أن استقيل منها دعيت الى الاجتماع فى بيت رئيسها صاحب السعادة الدكتور احمد ماهر باشا فلم يكن من الذوق ولا من الأدب ان اتلقى هذه الدعوة الكريمة فارد عليها بأنى مستقيل من اللجنة ، وانما كان ابسط الذوق وأيسر الأدب ، وكان من الايثار لنفسى بالخير ايضاً ان استجيب لهذه الدعوة وأن أشهد اجتماع اللجنة وان انظر ما يكون فيها ، فان أعجبنى مضيت فى عملى والا اعرضت عنه واعتذرت منه .

وقد شهدت اجتماع اللجنة وانكرت بعض ما عرض فيها من راى وبعض ما القى فيها من كلام ، ولكنى آخر الأمر لم انكر من عمل اللجنة نفسها شيئا ، فقد انتهينا الى ما كنا نحب ، واحتفظنا بالطريق التى رسمناها لأنفسنا واقرتنا عليها وزارة المعارف حين انشانا اللجنة منذ أعوام ، واستطعنا ان نلائم بين ذلك وبين ما أرادته وزارة الشئون الاجتماعية مسرعة فى ارادته ، متعجلة فى القصد اليه غير مستأنية بالبحث ولا متمهلة فى الدرس والتفكير .

وانصرفت بعد هذا الاجتماع راضياً مطمئناً الى ان اللجنة لن تنحرف عن طريقها ولن تغير من سيرتها قليلا ولا كثيراً . وكنت أقدر انها ستلقى شيئا من العناء بين حين وحين لتحمى الفكرة الأدبية العليا من بعض التهاون . وتعصمها من بعض الابتذال . ولكن الحياة كلها عناء وجهاد ، ولكن الثقة بأعضاء اللجنة وحسن وفائهم للمثل الفنى الأعلى كانا يقنعاننى بأن من الخير أن أمضى فيما بدأت فيه وان ارجىء التفكير فى الاستقالة حتى يصبح التفكير فيها شيئاً محتوما تفرضه على الظروف .

ونسيت لجنة ترقية المسرح وشئونها وانصرفت الى اعمال وشئون اخرى حتى أمسيت ذات يوم فاذا نبأ فى الصحف بأن وزيــر الشئون الاجتماعية قد اعاد تأليف اللجنة فأخرج منها اعضاء واضــاف اليهــا اعضاء . ثم اصبحت فقرات القرار الذى أصدره الوزير فى بعض الصحف الأخرى فاذا هو مصدق لما بين يديه من الأنباء وإذا هذا التعديل يحقق فكرتين فى وقت واحد ويصيب عصفورين بحجر واحد ، استغفر الله بل يحقق فكرتين ويصيب ثلاثة عصافير . فأما الفكرتان فهما اخراج طــه حسين من لجنة ترقية المسرح من جهة ، وقطع الصلة بين هذه اللجنة وبين وزارة المعارف من جهة اخرى . فقد كان لوزارة المعارف بقية من اثر فى هذه اللجنة ، وهو مدير الاوبرا الذى اختاره لعضوية اللجنة بناء على اقتراح اللجنة نفسها وزير المعارف السابق .

وأما العصافير الثلاثة التى أصابها قرار الوزير بحجر واحد فهى : مدير الأوبرا ، ورئيس تحرير المقطم ، وطــه حسين .

ومن الواضح ان رئيس تحرير المقطم قد اخرج من اللجنة مجاناً ان صح هذا التعبير ، فما كان أن يظهر القصد الى طــه حسين ووزارة المعارف صريحا مجرداً بل لم يكن بد من وقاء ، وقد كان خليل ثابت هذا الوقاء ، فليكن له منى اصدق الشكر واخلص الاعتذار .

على ان القرار قد أباح للجنة أن تضم اليها من شاءت من غيــر اعضائها ، وفى هذه الاباحة ما يجيز للجنة ان ارادت أن ترد مــدير الأوبرا لمكانه الفنى ، وان ترد خليل ثابت لمكانه الصحفى ، وأن تأسو بيد ما جرحته يد القرار الذى اصدره الوزير ، وتنتهى القصة آخر الامر الى اخراج هذا الشخص الخطر البغيض الذى لم يصــطنع الذوق فى استقبال وزارة الشئون الاجتماعية ، فتلقاها بنقد بعض اعمالها فى هذه الصراحة التى يعرفها الناس له ويعرفها هو لنفسه والتى تعودت أن تؤذى الناس وأن تملأ صدورهم عليه حفيظة وموجدة . ومع ذلك فقد كان هذا الشخص الخطر البغيض الذى يؤذى الناس ويؤذى نفســه بصراحته المرة ، يستطيع أن يجرى الأمور بينه وبين الشئون الاجتماعية على خير ما تجرى الأمور ، لولا أن فيه صلابة وعناداً وحباً للحرية غير

سائع فى مألوف الناس . لو أنه عرف كيف يستجيب للدعوة اللطيفة الحلوة التى وجهها اليه السكرتير العام لوزارة الشئون الاجتماعية فى مكتب وزير الأشغال حين افهمه فى صراحة صريحة أنه يريد كما يريد الوزير لقاءه والتحدث اليه والاستعانة به ، وحين استعان عليه بوزير الأشغال ليستجيب لهذه الدعوة .

لو أنه فهم هذه الدعوة وعرف كيف يستجيب لها كما يستجيب لها أصحاب اللباقة والمهارة والحذق فى التقرب من أصحاب السلطـــان ، لرضيت عنه الوزارة واقرته فى لجنة التمثيل ، وحشرته فى لجـــان أخرى كثيرة من هذه اللجان التى تنشئها الوزارة فى كل يوم . ولكن صاحبنا تلقى هذه الدعوة فى فتور ورد عليها فى ادب فاتر ، ولم يمر على هذا المكتب او ذاك فى وزارة الشئون الاجتماعية لانه لم يتعود أن يمر على المكاتب الا ان يكون له فيها أصدقاء يؤثرهم بالبر والود ، ولأنه لم يكن مستعداً للعمل فى اللجان التى تؤلف فى كل يوم والتى تجتمع مصبحـــة وتجتمع ممسية وتقول كلاماً كثيراً ولا تعمل شيئا ذا خطر ، ولأنه قـــد شارك فى لجان كثيرة حتى سئم اللجان واعمالها وآثر الخلوة الى ما ينبغى ان يشغله من القراءة والدرس والاملاء .

ولم يقف خطر هذا الشخص الخطر البغيض عند هذا الفتـــور ولا عند هذا التقصير فى ترك البطاقات ، فلو قد اكتفى بهذا التقصير وذلك الفتور لاحتمل على عيبه ولقبل على ما فيه من جفوة وغلظة ، ولكنه لم يكد يستقر فى القاهرة بعد عودته من أوربا حتى أخذ يكتب فى « الثقافة » واذا هو يمس وزارة الشئون الاجتماعية من قريب مرة ، ومن بعيد مرة اخرى ، وينقدها معرضا حيناً ومصرحاً اخرى ، على حين لا يكاد احد يعرض لهذه الوزارة الا بالحمـــد والثناء والتقريـــظ والاطراء .

فحدثنى كيف يباح لرجل ان يكون عضواً فى لجنة خاضعة لسلطان الوزارة ثم يعرض لهذه الوزارة بالنقد ؟ اى عقل يقبل هذا الكلام ، واى مزاج يسيغه ، وفى اى عرف يمكن أن يرضى الناس عنه ؟!

ان الذين يعملون فى لجنة تخضع للوزارة يجب ان يخضعوا الوزارة أو يخرجـــوا مـــن اللجنـــة ، فاذا لم يخـــرجوا من تلقـــاء انفسهـــم

اخرجوا منها اخراجاً . وكذلك يجب ان يكون مفهوما عند الذين يشتركون فى لجنة من اللجان الخاضعة لوزارة الشئون الاجتماعية أنهم بمجرد قبولهم لهذا الاشتراك ينزلون للوزارة عن حقهم فى حرية الراى وفى حرية النقد ، ويصبحون مخيرين بين اثنتين احداهما : أن يطلقوا السنتهم ويجروا أقلامهم بالحمد والثناء .

والأخرى وهى أسوا الأمرين أن يضطروا أنفسهم الى الصمت وأن يعقلوا الألسنة ويعقلوا الأقلام .

فاما ان خرجوا عن هاتين الخصلتين فهم لوزارة الشئون الاجتماعية عدو ، وما ينبغى أن يكون التعاون بين الأعداء .

وقد صدق قول الشاعر القديم حين قال :

فاما أن تكون أخى بحق فاعرف منك غثى من ثمينى

والا فاطرحنى واتخذنى عدواً أجتويك وتجتوينى

فانى لو تخالفنى شمالى خلافك ما وصلت بها يمينى

نعم ولكن المهم هو أن نعرف معنى الاخاء الحق والعدو الحق ، والذى يفهمه أمثالى من أصحاب النفوس الساذجة والعقول التى لا تخلو من بله : أن الاخاء الحق قد يقتضى النقد ، والنقد المر الصريح ، وأن العداء الحق قد يقوم على الحمد والثناء ، وعلى التقريظ والاطراء ، وعلى المصانعة والموافقة ، وعلى اظهار ما ينبغى أن يخفى ، واخفاء ما ينبغى أن يظهر .

ولم يقف أمر هذا الشخص الخطر البغيض عند هذا الحد ، ولكنه فى بعض ما كتب نصح لوزارة الشئون الاجتماعية ان تقرأ كتابا من الكتب الفرنسية ، وقد سمى هذا الكتاب باسمه ، وسمى مؤلفه باسمه أيضا ، ولكنه لم يسمح باعارة نسخته من هذا الكتاب لوزارة الشئون الاجتماعية، على انها الحت عليه فى استعارة هذا الكتاب مرات ، ووسطت عنده وسطاء ، والظريف أن الكتاب لا يتجاوز ثمنه عشرين قرشاً ، ولعله لا يبلغها ، فما رأيك فيمن يعمل فى لجنة خاضعة لوزارة الشئون الاجتماعية

ويبخل عليها وعلى سكرتيرها باعارة كتاب ؟! هـــذا دليل واضح على سوء نيته وفساد طويته ، وعلى أنه لن يكون صادقا فيما سيبذل للوزاره من مشورة تتصل بشئون التمثيل ، فيجب أن يخرج من لجنة التمثيل طائعا ، فان لم يفعل أخرج منها كارها .

وليس المهم أن تقدر الوزارة أولا تقدر أن هذا الشخص الخطـــر البغيض حريص أو غير حريص على البقاء فى لجنة التمثيل ، راغب فى العمل مع وزارة الشئون الاجتماعية أو راغب عن هذا العمل ، ولكن المهم ان نخرجه من هذه اللجنة وأن يقول الناس كان فلان عضواً فى هـــذه اللجنة فأعيد تأليفها ليخرج منها اخراجاً ، وليشعر الناس بأن من أحدث ذنوبا ،احدثت فى وزارة الشئون الاجتماعية له عقوبة تـــلائم هـــذه الذنوب ، وليشعر الناس بأن نقد وزارة الشئون الاجتماعية له عقوبة تلائم هذه الذنوب ، وليشعر الناس أن نقد وزارة الشئون الاجتماعية ليس من الأشياء الهينة التى تستطيع أن تسعى رضية النفس رخيـــة البال دون أن تلقى فى طريقها ما يردها الى القصد ويحملـــها عـــلى الاعتدال .

★ ★ ★

وكان طـــه حسين قبل أن يكتب مقاله ويمضى فيه لينشره فى مجلة « الثقافة » على الرأى العام ، قد كتب الى صديقه خليل مطران ليقول له « ألم أقل لك » ، ثم يبلغه بأمر استقالته من « لجنة القراءة » ليكون الأمر بيده هذه المرة لا بيد « عمرو » ، وطلب منه أن يبلغ الوزير ويبلغ « لجنة ترقية المسرح » بهذه الاستقالة .

ولما كانت الاذاعة قد صارت تبعيتها لوزارة الشئون الاجتماعية ، وكان طـــه حسين عضواً بها فى « لجنة الاذاعة » ، فقد سارع بتقديم استقالته منها أيضاً غير راغب فى البقاء بأى لجنـــة من لجـــان وزارة الشئون الاجتماعية ، فقد كتب طـــه حسين الى :

حضرة صاحب السعادة رئيس لجنة الاذاعة

اتشرف بأن ارفع اليكم استقالتى من عضوية لجنة الاذاعة شاكراً لكم ولحضرات الزملاء ما تفضلتم به على أثناء العمل معكم من الرعاية والمودة .

أما سبب استقالتى فيسير جداً فقد عرفت ان آرائى فى بعض اعمال وزارة الشئون الاجتماعية لا تعجب حضرة صاحب المعالى الـوزير ، ونشأ عن ذلك انه اضطر الى تعديل لجنة المسرح ليخـرجنى منها ، وما اريد أن اضطره الى تعديل لجنة الاذاعة .

فأرجو أن تتفضلوا فتبلغوه هذه الاستقالة ليختار من يخلفنى مـن الذين تعجبه آراؤهم .

وتفضلوا بقبول تحيتى الخالصة وودى الصادق .

٧ نوفمبر ١٩٣٩

★ ★ ★

وبينما كان طـه حسين يستقيل من كـل اللجان المتصلة بوزارة الشئون الاجتماعية قبل ان يخرجه وزيرها منها عقوبة وانتقاما ، وبينما كان يكتب تفاصيل الموقف كله لعرضه على الرأى العام ، كان فى نفس الوقت ينتظر موقف صديقه توفيق الحكيم مدير ادارة الدعايـة بوزارة الشئون الاجتماعية ، وما عسى أن يكون عليه موقفه تجاه صديقه الذى عوقب وأهين بسبب آرائه .

لقد تعرض توفيق الحكيم لموقف مشابه قريب ، ولكن من وزارة المعارف عندما عاقبته بسبب آرائه ايضا ، وانتهزت أول فرصة لابعاده عنها فى غيبته ، مما اشعره بالاهانة الى درجة « الذل » كما احس بذلك واعترف به ، ومما زاد من آلامه أنه تلفت يمينا وشمالا فلم يجد مدافعا عنه ، فهل سيلتزم موقف الأدباء منه ، تجاه صديقه طه حسين ، أم سيتخذ موقفاً آخر اكثر ايجابية خاصة وأن الذى تعرض للاهـانة هذه المرة هو طه حسين صديقه ؟

ولم يجد طـــه حسين صدى لما حدث له ، عند توفيق الحـــكيم .
وهنا لم يستطع طه حسين ان يلتزم الصمت ، فنشر على الرأى العام فى مجلة « الثقافة » موقف صديقه توفيق الحكيم ، كما كشف النقاب صراحة عن موقفه هو منه يوم تعرض لأزمة مشابهة منذ حوالى سنة ، مذكراً اياه بموقفه الايجابى منه ، بينما هو يتعرض الآن الموقف سلبى منه فقال طـــه حســـين :

وهنا احب أن اذكر صديقى مدير مصلحة الدعاية فى وزارة الشئون الاجتماعية بقصة لم يمض عليها العام ولم ينسها الناس ، وما كنت احب أن اذكره بها ، وما كنت احب أن اعرض لها بخير أو شر لولا اننا بازاء وزارة الشئون الاجتماعية ، وهى وزارة اصلاح قبل كل شىء ، ووزارة اصلاح يرتفع فوق مودة الأصدقاء وعداوة الأعداء . وزارة اصـــلاح يقوم على المثل الأعلى فى القول والعمل ، وفى السر والجهر ، وفى السيرة الشخصية والاجتماعية ، ورحم الله الشاعر القديم الذى قال :

يا أيها الرجـــل المعلم غيره   هلا لنفسك كان ذا التعليم
ابدا بنفسك فانهها عن غيها   فاذا انتهت عنـــه فانت حكيم .

ورحم الله ابا العلاء حين قـــال :

اذا فعل الفتى ما عنه ينهى   فمن جهتين لاجهـــة اســـاء

فلأذكر صديقى مدير مصلحة الدعاية فى وزارة الشئون الاجتماعية بقصة ، بل بقصتين لم يمض عليهما العام ولم ينسها الناس بعد .

فأما القصة الأولى فأمر كاتب من الكتاب تعرض فى صحيفة من الصحف لشئون السياسة ، ومس الوزارة التى كانت قائمة بها تكـــره ، مس وزيره ، ومس رئيس الوزارة . اقال جماعة من الوزراء واقام مكانهم وزراء آخرين ، ولم يكره أن يمس النظام البرلمانى بما لا يحب البرلمانيون، وقد غضب رئيس الوزراء يومئذ لأن البرلمانيين احتجوا ، فأمر بهـــذا الكاتب وكان موظفاً فعوقب فى مرتبه بخصم جزء منه ، واظن أن بين الناس من ضاق بهذا الأمر اشد الضيق ، وسعى فى رفع هذه العقوبة بنفسه عند الوزير الذى فرضها ، وعند وزير المالية يومئذ ، وعنـــد

رئيس مجلس الشيوخ ، ووسط من يسعى فى ذلك عند رئيس الوزراء لانه لم يكن من الذين يبلغون رئيس الوزراء ، وهو لم يفعل (يقصد نفسه أى طـــه حسين) ذلك ايثاراً لشخص الكاتب ، وأن كان لـــه صديقا ، وانما فعل ذلك حفاظاً لحرية الراى ودفاعاً عنها وغضباً لحرية النقد أن تتعرض للخطر فى ظل النظام الديمقراطى .

فهذه احدى القصتين .

أما القصة الثانية ، فهى أن لهذا الكاتب نفسه كتابا ظريفاً أشاعت الصحف أن الأزهر الشريف اعترض على تقريره فى مدارس الدولة ، وغضب صاحب الكتاب لهذا الاعتراض ، ولم يتحقق صدق الخـــبر ، وانما تعجل فتحدث الى الصحف بما آذى الأزهـــر وآذى شيخـــه ، فغضبت الوزارة وهمت بمعاقبة الكاتب مرة أخرى » .

★ ★ ★

أما تفاصيل هذه الأزمة ، فتبدأ بخبر نشرته بعض الصحف المسائية عن تلقى وزارة المعارف لرسالة من مشيخة الأزهر التى كان على رأسها آنذاك « الشيخ مصطفى المراغى » بشأن حظر كتاب « يوميات نائب فى الأرياف » لتوفيق الحكيم ، لتعرضه فيه لهيئة القضاة الشرعيين .

وقد تلقفت الخبر ، صحيفة « المقطم » وسألت توفيق الحكيم رأيه فيه ، فأجاب بدون أن يتأكد من صدق الخبر ، باجابات أخذت منهـــا الصحيفة المذكورة عناوين مثيرة على لسان توفيق الحكيم ، تقول :

« الأزهر والحياة العقلية فى مصر .. وجوب تدبر الخطر بتدخله المتكرر فى جميـــع شـــئون الدولـــة الفكرية » .

واتضح بعد ذلك أن مسألة حظر كتاب توفيق الحكيم ، وكتاب آخر تردد حظره « لبرناردشو » ، عن « جان دارك » ، فى الجامعة ، لم تبلغ رسميا لوزارة المعارف ، وقد أبلغ وزير المعارف نفسه د. محمد حسين

هيكل (الذى سبق أن وقع عليه عقوبة خصم خمسة عشر يوما من مرتبه بسبب مقاله عن النظام البرلمانى) توفيق الحكيم بهذا عندما استدعاه الى مكتبه ، وطلب منه الاعتذار عن تصريحاته ، فرفض على اساس ان مشيخة الأزهر نفسها لم تتعرض بالتكذيب رسمياً للأخبار التى نشرتها الصحف منسوبة اليها ، وكاد الأمر يتطور حين تردد أن وزير المعارف سيعرض الموضوع على مجلس الوزراء ، وسيثار فى البرلمان خاصة بعد أن قام رئيس مجلس الشيوخ آنذاك (محمد محمود خليل صاحب المتحف الشهير باسمه الآن على نيل القاهرة) ، غير أن الموضوع ما لبث أن تمت تسويته واصبح منتهياً .

★ ★ ★

وقد كان لطه حسين دور فى هذه التسوية يتحدث عنه وهو يذكر الحكيم به ويعلن للرأى العام تفاصيل موقفه منه ، فيقول عن نفسه :

وكان بين الناس فى ذلك الوقت رجل لم تكن الحكومة التى كانت قائمة تحبه ، ولعلها كانت تبغضه ، ولكن ذلك لم يمنعه من ان يسعى عند الوزير الذى كان يخضع له هذا الكاتب ، بنفسه ، ومن يتوسل اليه برئيس مجلس الشيوخ لرده عما كان يهم به من البطش .

واذا لم تكذبنى الذاكرة فان هذا الرجل هو الذى املى كتابا يضع الأمور فى نصابها . وعرضه على الوزير ، فلما قبله أمضاه الكاتب وقدمه الى الوزير .

واذا لم تكذبنى الذاكرة فان هذا الرجل لم يغضب لذلك الكاتب لأنه كان صديقا له بل غضب لحرية الرأى والنقد ، وأظنه تحدث الى بعض اصدقائه فى أن يقاوموا الوزير بانكار عمله ان اقدم على عرض العقاب ، ولم يخف تدبيره هذا على الوزير نفسه ، ولم يصل الأمر الى المقاومة لأن الوزير نفسه لم يكن عدواً لحرية الرأى وانما كان حريصا على النظام .

احب أن أذكر صديقى مدير الدعاية بمصلحة الشئون الاجتماعية بهاتين القصتين لأن الذكرى تنفع المؤمنين وتنفع الذين يريدون الاصلاح

الاجتماعي بنوع خاص ، وتحمل الناس على أن يفكروا فى أن للنقد حرية يجب أن تكون فوق العقاب ما دام اصحابها لا يتجاوزون بها حدود القانون ، وفى أن للثقافة على اهلها حقوقاً ايسرها التضامن والوفاء ، وفى أن من الآثام فى ذات الثقافة أن يظاهر مثقف على مثقف ، او يعين اديب على اديب » .

★ ★ ★

ويمضى طه حسين فى حديثه الملىء بالمرارة والذى يبدو أنه شعر بانه قد طال اكثر مما يجب ، فيعتذر « من هذا الحديث الطويل السخيف الذى يتصل بشخص فى ظاهر الأمر ولكنه يتصل بحياتنا العقلية والاجتماعية فى حقيقة الامر .

فخلاصة هذه القصة أن كاتبا اعرب عن رايه داعيا الى الاصلاح فاغضب وزارة الشئون الاجتماعية فعاقبته باخراجه من لجنة التمثيل، ولو استطاعت أن تعاقبه بشر من ذلك لفعلت فيما يظهر . ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله — وشىء خير من لا شىء — . واظن انه من الخير أن يلتفت الناس الى أن هذه ظاهرة خطرة لا ينبغى ان تقر ولا أن تلقى منهم رضى وتاييداً ، ولا سيما حين تظهر فى وزارة قد انشئت للاصلاح وللاصلاح وحده .

وانا واثق كل الثقة بان الوزارة القائمة لا ترضى هذه الظاهرة ولا تقرها ، لأنى اعرف رئيس الوزراء ، واعرف زملاءه ، واعرف فيما بينى وبين نفسى ، وفيما بينى وبين كثير جداً من الناس انهم يرتفعون ويريدون أن ترتفع أمور الحكم عن مثل هذا .

واحب أن يعرف الناس أنى لا اقول هذا ترضياً للسلطان ، فأنا اقل الناس تهالكا على رضى السلطان ، وقد جنيت لذلك ثماراً يراها الناس مرة واراها انا حلوة شهية .

وانما هو حق اراه ، ومن الواجب أن اسجله . واحب بعد هذا وذاك أن يعلم الناس أنى لن اعود الى لجنة التمثيل مهما تكن الظروف

ما دامت تابعة لوزارة الشئون الاجتماعية التى لا تعرف للنقد البرىء حقه فى الحرية . وقد قال كثيرون من الذين يؤرخون للآداب ، ان الأدب صورة للبيئة التى ينشأ فيها ، فاذا كان هذا الحديث سخيفاً تافهاً فليس على من بأس ، فهو صورة لناحية من حياتنا لا تخلو من تفاهة وسخف.

طـــه حسين

★ ★ ★

فى مقال آخر بعد ذلك لم يتورع طـــه حسين عن ذكر اسم صديقه توفيق الحكيم صراحة حين طرح عدة تساؤلات انتقادية يقول فيها :

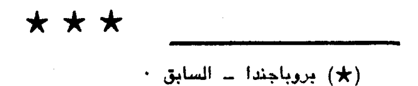
متى يرحمنا الله من الاعلان ؟

ومتى تقتصد وزارة الشئون الاجتماعية من الاعـــلان ؟

ومتى يكلف الأستاذ توفيق الحكيم شيئا غير ادارة اعلان » (*) ؟!

★ ★ ★

لقد كانت صداقة طـــه حسين وتوفيق الحكيم ككل الصداقـــات تتعرض لحالات من المد والجزر ، وان كانت شخصية طـــه حســـين الناقد ، غير شخصية طـــه حسين الصديق ، وهذا يحسب له ، حتى وان « كانت صداقته متعبة وعداوته متعبة » ، كما قال أحمـــد أمين (صديق الطرفين) لتوفيق الحكيم ، والذى كان يتمتع مثله بعلاقـــة « صداقة ادبية وشخصية ومشاركة » كما يصفها توفيق الحكيم نفسه ، ومع ذلك تعرضت صداقتهما بطـــه حسين لما تتعرض له أى صداقة « من لحظات صفاء ولحظات غيوم . ولعل هذا هو الشأن فى كـــل صداقة » كما يقول توفيق الحكيم .



(*) بروباجندا ـ السابق .

غير أن المسألة هنا كانت ابعد ما تكون عن المواقف الشخصية ، فالقضية عامة ، ومثلما تعرض الحكيم لأزمة ولم يجد من يدافع عنه من الأدباء — اذا استثنينا موقف طــه حسين — فقد تعرض طــه حسين لأزمة هو ايضا ، وما عابه الحكيم على الأدباء وقع هو نفسه فيه فالتزم الصمت ولم يتخذ موقفاً ، مما جعل طــه حسين يغضب منه غضبا سيظل ظاهراً فى مواقف متعددة بعد ذلك ، بداها حين اتهم توفيق الحكيم على صفحات الأهرام (١٠ يوليو ١٩٤٠) بانه من « عشاق الدعاية وطلاب الادب اليسير » .

★ ★ ★

غير أن طــه حسين نفسه يتعرض لمحنــة شــديدة سنة ١٩٤٦ شبيهة بمحنته التى فصل على اثرها من الجامعــة سنة ١٩٣٢ بسبب اصطدامه مع وزارة صدقى الديكتاتورية ، أما هذه المرة فقد كان تعريضه بالملك بالرمز والتلميح كافيا لكى يضيق عليه الخناق فيحال على المعاش من منصبه كمستشار فنى لوزارة المعارف ، ثم يجبر على الاستقالــة كمدير لجامعة الاسكندرية ، ثم اغلقت مجلة « الكاتب المصرى » آخر معاقله ، ليجد نفسه بلا مأوى ، فتتلقفه جامعات اوربا تدعوه للتدريس فيها طوال العام ، مما يقوى عزمه على الهجرة عله يجد فى الخــارج « ما ينسيه طعم المرارة التى ذاقها من اهمال قومه هنا وذويه » كما يقول توفيق الحكيم فى مقاله باخبار اليوم فى ١٩٤٨/١٠/٩ تحت عنوان « الأديب المنفى » (*) مؤكدا أن « الخاسر فى ذلك بلاده » مستنهضــا الأصدقاء من رجال الجامعة والأدب ، والسياسة ، والرسميين ، متسائلا « ماذا تراهم فاعلين ليشعروه أن وطنه محتاج اليه ، وانه لا يطيق غيبته الطويلة ولا نفيه المختار » .

ولعل الحكيم اراد بهذا المقال ان ينسى طــه حسين مرارة صمته عنه ابان أزمته السابقة مع وزارة الشئون الاجتماعية . ولم يكن طــه حسين من النوع الذى يطيق أن يهجر بلاده حتى لو هجرته بلاده فعاد ليواصل كفاحه الأدبى والسياسى .

★★★

(★) المقال كاملا فى ملحق « الوثائق » .

مهما يكن فان محنة توفيق الحكيم ، وأزمة طـــه حسين ثم محنته بعد ذلك ستعطينا مؤشراً واضحا على ضعف موقف المثقفـــين ، ليس فقط فى الماضى بل فى الحاضر ايضاً ، او كما يقول احمد بهاء الدين (*) :

نحن الآن جزء من عالم متخلف ، الأمية عندنا تزيد على خمسين فى المائة ، هل يعتقد احد أن المثقف حين يحس انه فى العراء ، بدون حماية مدنية ، هو المثقف الذى يحس انه فى منطقة المجتمع المدنى بكل ما فيه من مؤسسات ورأى عام .. الى غير ذلك .

ان الكاتب عندنا لا يجد من يحميه ، فان هناك درجة من المخاطرة (.....) من المؤكد ان مؤسساتنا حتى الآن ضعيفة ، اقصد هـــذه المؤسسات التى تكون الرأى العام وتصنعه وتحاول الدفاع عنه مثل الجامعات والمجالس النيابية ، والقضاء ، والمؤسسات الصحفية .. الى غير ذلك . وهنا الاحظ (والكلام لأحمد بهـــاء الـــدين) أن موقف المثقفين — كما يلاحظ الباحث — ضعيف » .

★ ★ ★

ومظاهر هذا الضعف لا تزال قائمة حتى الآن بدليل هـــذا الموقف الذى وقفه استاذ للفلسفة بالجامعة امام محكمة الجنايات بسبب آراء نشرت عنه محرفة عن « ابن رشد » ، وهى المرة الأولى التى يقف فيها استاذ للفلسفة امام المحكمة (١٥ مايو ١٩٩٥) منذ محاكمة « ابن رشد» فى القرن الثانى عشر الميلادى بسبب فلسفته العقلية التى تقدم بهـــا الغرب حين انتفع بها ، وتخلفنا نحن عن حين أعرضنا عنها .

يقول استاذ الفلسفة وخبيرها بمجمع اللغة العربية د. عاطـــف العراقى بعد أن برأته المحكمة ، متسائلا (**) :

(★) فى تقديمه لكتاب « المثقفون وعبد الناصر » للدكتور مصطفى عبد الغنى .

(★★) نقلا عن نص مخطوط له نشره المؤلف بمجلة الاذاعة والتليفزيون تحت عنوان « يوم من عمرى » .

اين هؤلاء الذين يتحدثون عن التنوير ، وحديثهم هذا يعد كلاما فى كلام ؟

اين اختفى هؤلاء يوم ان وقفت امام المحكمة ؟

انهم فيما اعتقد من أشباه المفكرين ومن الرجال السطحيين الذين يقفون عند القشور لأن افهامهم الجامدة والمتخلفة ليس بامكانها تجاوز القشور وبحيث يصلون الى الأعماق .

لم يتحرك واحد منهم سواء قبل صدور حكم لى بالبراءة ، أو بعد صدوره .

ان هذا يؤكد لنا اننا فى مجال الفكر نعمل وكاننا فى مجتمع الصراصير وليس فى مجتمع النمل . كل صرصور يتقاتل مع الآخر ، فى حين اننا نجد الالفة والتعاون فى مجتمع النمل . دخلت الى صومعتى الفكرية وانا اقول :

لعنة الله على هؤلاء الذين يزعمون للناس أنهم من الذين يتحدثون عن التنوير ، فى الوقت الذى تعد حياتهم التى يحيونها ، ظلاما فى ظلام . تعد حياتهم مبتعدة تماما عن الدفاع عن التنوير ، وداخلة فى بحر الظلمات والجهل والتخلف . اناس تحسبهم من المثقفين ، وهم ليسوا بمثقفين ، بل اشباه مثقفين ، ومن هنا كانت ازمة الثقافة بمصر سببها هؤلاء الناس الذين يزعمون لانفسهم أنهم من المثقفين فى الوقت الذى نجد فيه الفرق بينهم وبين الثقافة الجادة ، اكبر من المسافة بين الانس والجن ، وان كان اكثرهم لا يعلمون » .



هل استطعنا اذن ان نفسر بعض مواقف طـه حسين ، وتوفيق الحكيم ، وغيرهما بضعف المثقفين فى عصرهما وغير عصرهما ؟

(٣)

رغم كل شيء فقد كان طـــه حسين على استعداد لأن يعفو ، وكان توفيق الحكيم على استعداد هو الآخر الا يخسر هذه الصداقة الادبية والشخصية مع طـــه حسين ، فعادت مياه عـــلاقتهما الى طبيعتهـــا مستأنفين الرسـائل والحوار فيها بينهما ، فبعث توفيق الحـــكيم مـــن القاهرة خطابا الى طـــه حسين وهو فى المصيف يقول له فيه :

القاهرة فى ٣ يوليو ١٩٤٩

٣٣ شـارع القصر العالى ــ قصر الدوبارة .

اخى الجليل

أبعث اليكم من مصر بأطيب التحيات واسأل الله ان تكونوا فى المصيف على خير حال .

أما بعد فقد حجز لى مكان على الباخرة « الملك فؤاد » التى تغادر الاسكندرية فى ٢٤ يوليو ان شاء الله .. وقد رايت من الواجب قبل ان اضع أو يوضع لى برنامج الرحلة ان استطلع رايكم فيما كنا بصدده من نية الاجتماع فى المصيف اياماً .. فاذا لم يكن طرأ على برنامجكم تغيير ورأيتم أن أحضر اليكم فى الجبل من مارسيليا مباشرة ، فانى ابدأ رحلتى بهذا .. واذا لزمكم من مصر شيء أحضره معى فما عليكم الا ان تأمروا .

وفى الختام ارجو ان تتكرموا بابلاغ تحياتى واحتراماتى مدام طـــه بك والنجل العزيز كلود (مؤنس) .. مع سلامى لفريد (سكرتيره) .. ودمتم فى أوفر عافية وأتم نشاط واكمل هناء .

المخــلص

توفيق الحكيم

★ ★ ★

ورد عليه طـــه حسين فى ١١ يوليو ١٩٤٩ من باريس (فيما نشره توفيق الحكيم فى « وثائق من كواليس الأدباء ») ليخبره أنه لم يتحـــدد بعد المكان الذى سيصطافون فيه وسيقوم بتحديده بعد وصول توفيق الحكيم الى باريس ، ويضيف « وانى أشكر لك أجمل الشكر استعدادك ما قد أحتاج اليه من مصر ، ولن أحتاج الا لشىء من السجائر وانت رجل لا تدخن .. ولك مع ذلك الحق بمقتضى القانون الفرنسى أن تدخل فى فرنسا بمقدار لا بأس به من السجائر لا يقل عن الألف » .

ويوضح له أهمية هذه السجائر بالنسبة له فيقول له مداعباً « فانت تعلم أن السيجارة تلهمنى كما يلهمك الجلوس فى القهوة » .

★ ★ ★

وسافر توفيق الحكيم الى باريس فوجد طـــه حسين قد تركها الى مصيفه اختاره بقرب « مارسيليا » ، وشرح له (فى رسالة) كيفيـــة الوصول اليه ، ولكن توفيق الحكيم الذى لم يسافر الى باريس من مدة طويلة منذ ما قبل الحرب العالمية الثانية وجد نفسه مشدوداً الى العاصمة الفرنسية ، منصرفا عن المصيف ، وبالتالى لم يذهب الى طـــه حسين ، وقد ساق اليه أسباباً مضحكة واهية لكى يبرر له عدم اللحاق به .

يقول توفيق الحكيم :

باريس فى ٣ سبتمبر ١٩٤٩

صديقى العزيز

تلقيت كتابك الكريم ، وما أن عرفت ان على الهبوط من شمال فرنسا الى جنوبها ، ثم الصعود من الأرض الى القمم ، على ارتفاع اربع عشرة مئة من الأمتار ، وأن أركب القطار ثم انتقل منه الى « الكار » حتى اخذنى الدوار ! .. فان اقصى جهودى أن اهبط من الفندق الى القهوة ، واصعد من القهوة الى الفندق .. فاذا غامرت يوما وذهبت الى حى متطرف من أحياء باريس ، فانى أقول : اللهم رد غربتى ! .. واعود حالا الى مقرى وانا اتنفس الصعداء ..

ثم كيف أترك باريس الآن ، وقد بدأت المسارح تفتح ابوابها بابا بعد باب .. واخذ « المحار » البرتغالى ، و « المول » البحرى تظهر بشائره فى مطعم « ملك الأصداف » فى ميدان « كليشى » ! .. وانا من هواة « المحار » .. لا اتعب من ملاحظة بائعة وهو يفتحه بسكينه ، ويرصه فى أطباق ، يحملها خدم المطاعم .. فتسافر أنظارى خلف الأطباق على حد تعبير بديع الزمان ..

لا .. ليس من السهل أن أترك باريس الآن .. وخصوصاً وأن مقامى فيها لن يجاوز اليوم العشرين من هذا الشهر .. فأمامى اذن اقل من اسبوعين ، اعد فيهما عدتى للرجوع الى مصر .. فاذا اردتم من مصر شيئاً فانى رهن الاشارة ..

وختاماً أرجولكم وللمدام ومؤنس وفريد ، مقاماً طيباً وعوداً حميداً .. وأن أراكم فى مصر هذا الخريف على احسن صحة وأتم هناء باذن الله .

والســــلام

توفيق الحكيم

حاشية : السجاير التى عندى .. كيف اوصلها اليكم ؟ وكذلك لكم فى ذمتى هدية : هى زجاجة « أولدبار » جئت بها لكم من مصر ونسيت اخبركم بأمرها .. اظن الأوفق أن اجمل هذه الأشياء فى حزمة وأن أودعها أمانة لكم عند بواب « لوتيسيا » (*) ..

هل من رأيكم ذلك ؟!



(★) اسم الفندق الذى ينزل به طه حسين .

وهكذا لم يتم اللقاء بين الصديقين فى المصيف مرة اخرى كما اتفقا لانجاز عمل مسرحى مشترك كان من المفترض انجازه منذ اجتماعهما فى المصيف لأول مرة سنة ١٩٣٦ ، وهو حلم كان يراود « خليل مطران » أول مدير للفرقة القومية المصرية المسرحية .

وقبل ان يغادر توفيق الحكيم باريس تلقى رسالة من طـه حسين تتضمن مقالا فيها يبدو انه تردد فى نشره ، وربما كانت هذه هى المرة الأولى التى نكتشف فيها أن طـه حسين يعرض مقالاته على احد من الكتاب او الأدباء قبل نشرها ، فما بالك بتوفيق الحكيم الذى كان قد غضب منه غضبا شديداً ابان أزمته مع وزارة الشئون الاجتماعية ، واشتكاه للقراء لانه لم يقف معه كما وقف هو نفسه معه ابان أزمته مع وزارة المعارف ، وازمته مع الأزهر وشيخه ؟! غير أن ارسال طـه حسين لمقال له الى توفيق الحكيم ليدلى له فيه برايه قبل نشره ، يدلنا على ان طـه حسين قد تجاوز الأزمة مع صاحبه بشكل عملى وان لم يتجاوزها بشكل نفسى أو شخصى كما سيتبين لنا فيما بعد حـين يدلى لخاصته بآراء حادة فى توفيق الحكيم كنوع من التنفيس عن خيبة امله فى صديقه الذى لم يكن يتوقع منه ان يتخلى عنه فى محنته مـع وزارة الشـئون الاجتماعية التى ارادت معاقبته بسبب آرائه فيها وفى دورهـا كوزارة للدعاية والاعلان اكثر منها وزارة اصلاح ، حتى لو كان مدير الدعايـة والاعلان فيها هو توفيق الحكيم نفسه ، فالحق اولى بالاتباع ومناصرة اهل الفكر والادب من المفترض ان تكون اسبق لاصحابها من مناصبهـم ، واحرص على نجدة الصديق فى محنته من الحرص على الوضـع المهنى فى وظيفة هنا أو هناك ، لأن قيمة المفكر والأديب ابقى وارفع من المنصب الذى يشرف المنصب نفسه به ، دون أن يكون للمفكر والأديب مثل هذا الشرف بالنسبة لمنصبه ، ولكن يبدو ان الفكر والأدب لا يقيمان الأود ولا يضمنان لأصحابهما حياة كريمة ، فلا بد من الوظيفة ولا بد من الحرص على الوظيفة حفظا للكرامة والستر .

ونحن هنا لا نسوق القضية وعكسها ، ولا نطرح فكرة ومبررات التخلى عنها ، ولكنه واقع الحال الذى دفع من اجله طه حسين نفسـه الكثير ابان ازمته فى الجامعة وطردها منها وتضييق أسباب الرزق عليه

الى درجة انه لم يكن يجد ثمن الدواء ، مما دفع به الى التفكير فى الانتحار لولا أن فتحت الصحف ابوابها أمامه مما حافظ على كرامته وحفظ لـه قدراً من الستر لنفسه واسرته حتى لا يمد يده أو يتنازل عن افكار آمن بها ، ومبادىء لا يفرط فيها .

انه الضعف الانسانى الذى يجعل الانسان يحرص على مصدر لقمة عيشه ، اكثر من حرصه على نصرة صديق فى محنته حين يجد أن تلك النصرة قد تؤثر على مصدر هذا الرزق أو تقطعه ، حتى لو كان هـذا الانسان أديبا مفكراً ، ولعل هذا البعد الانسانى هو الذى جعل طـه حسين بعد حوالى عشر سنوات من موقف صديقه معه ، ينسى له هذا الموقف السلبى او يتناساه ، او يتظاهر بذلك على الأقل ، وان كـانت مواقف طـه حسين مع توفيق الحكيم قد دلت على روح عاليـة لمثقف كبير ، ويكفينا هذا الموقف الأخير ، فلم نجد طـه حسين من قبل أو من بعد قد سمح لنفسه أن يعرض مقالا كتبه على أحد خاصة اذا كان مـن الأدباء لابداء رايه فيه ، كما فعل مع توفيق الحكيم .

ولو اقتربنا أكثر من معرفة طبيعة المقال الذى تردد طـه حسين فى نشره ، فعرضه على صديقه ليقطع له فيه برأى ، لاكتشفنا أن طـه حسين كان حريصاً على عدم الاساءة الى الأشخاص لانه وان كان قـد هاجم بعضهم فليس ذلك لخصومة شخصية ، وانما لخصومة ادبية او انتقاداً لمواقف لم تعجبه ووجد من اصحابها نكوصاً عن مبدأ أو اهدار لقيمة نبيلة ، وهو ما فعله مع توفيق الحكيم الذى افترض أنـه كمثقف سيقف بجوار زميله المثقف ، فضلا عن أنه صديق شخصى له ، وهـو ما لم يجـده مما أحـزنه ، وهـو موقف لم ينسـه كعـادته ، وان لم يتوقـف امامـه كثيـرا ليجعـله مقياسـا لمستقبـل تعـامله مـع صديقه ، فقد تعامل مع موقف توفيق الحكيم فى اطار زمانه ومكانه ، ثم نسيه موضوعيا او على الأقل لم يشعر صديقه به كذنب يذكره له ويطارده به ، ولكنه عامله معاملة صديق قديم ، له مثل ما « لكل عالم هفوة ولكل جواد كبوه » ، بل قد أحسن معاملته كما لم يحسـنها من قبل حـين استشاره فى امكانية نشر مقال تعرض فيه لبعض الأشخاص الذين ستر

اسماءهم ، وهى طريقة كان يلجأ اليها طــه حسين حين كان يريد الكتابة عن اشخاص بعينهم فيشير اليهم دون أن يسميهم ، او يجعلهم فى صورة حيوانات او طيور ، كل حسب طبيعته وصفاته التى تقترب من طبيعــة أو صفات هذا الحيوان أو ذلك الطير .

ويجيبه توفيق الحكيم بخطاب يريحه ويخفف من حساسيته الزائدة ، كما سنكتشف ايضا فى هذا الخطاب أن توفيق الحكيم الخائف دائما من ركوب الطائرات قد ابدى عزمه على ركوبها على طريقة « مجبر اخاك لا بطل » ، والسبب الذى اجبره على ذلك هو حرصه على حضور لحظة ميلاد طفل له اخبر انه على وشك الخروج الى الحياة ، والطفل لم يكن يهم توفيق الحكيم فى كثير او قليل لانه لم يكن راغبا بعد زواجه من مطلقة لها طفلتان ، أن يكون له ابناء ، معتبراً بروح الفنان أن هاتان الطفلتان كابنتاه ، فما الداعى لأطفال جدد ، خاصة وانه اشترط على زوجتــه الا تنجب أولاداً فقد كان يحس كفنان أن لديه مهام اخرى غير تربيــة الأطفال ، وساعده على تحقيق هذا المطلب أن زوجته كانت مصـــابة باعوجاج فى الرحم ، ولذلك كان مطمئنا الى عدم حملها ، ولكن بعد شهور قليلة ظهرت على زوجته اعراض الحمل والوحم ، وقال لها الطبيب ان الرحم قد عاد الى وضعه الطبيعى ، وحدث الحمل :

ورغم ضيق توفيق الحكيم الا انه خجل أن يصـــدم زوجته ويمس احساسها اذا طلب منها ان تسقط الحمل ، ورزقه الله باسماعيل فجر ٢٤ مارس ١٩٤٧ (*) .

ولكن الأمر لم يتوقف عند « اسماعيل » ، فقد حملت زوجة توفيق الحكيم مرة اخرى ، وكان الحكيم مصمما هذه المرة على اجهاضها ، ولكنه تراجع بعد أن تأمل وفكر أن وقوفه ضد ارادة الله لن يعود عليــه الا بالخسران ، آخذاً عبرة وعظة حين اطمأن الى اعوجاج رحم زوجته ماذا

(★) لمزيد من التفاصيل راجع كتاب المؤلف « رسائل خاصة جدا » ــ كتاب اليوم ــ مؤسسة اخبار اليوم .

به ، بقدرة الله يعتدل . فليس الأمر بارادتنا ولكنه بارادة الله (*) ، وجاءت (ابنته) التى كانت خير عون له فى السنوات الأخيرة من حياته حيث كان احوج ما يكون الى ذلك العون خاصة بعد رحيل ابنه (اسماعيل) ، وهو ما يكشف عن الحكمة البالغة لانجاب ابنته التى لم يكن راضياً عن انجابها ، فاذا هى التى تبقى له أنيساً ونيساً فى شيخوخته بعد أن فقد الزوجة والولد ، وكان المولود المنتظر الذى تحدث عنه توفيق الحكيم لطه حسين فى رسالته ، هو « زينب » ، هذا الطفل الذى أبدى ضرورة عودته من أجله ، ليس الطفل فى حد ذاته ولكنها نظرة الفنان الذى يريد ان يتأمل جمال ما ابدع الفنان الأعظم والمبدع الأعظم الذى هو « الله » ، والذى يتضاءل أمامه كل فن وكل ابداع بشرى ، وهو ما عبر عنه توفيق الحكيم فى رسالته التى يقول فيها لطه حسين :

باريس فى ١٤ سبتمبر ١٩٤٩

صديقى العزيز

قرات المقال الظريف ، بلذة وسرور ، ولا ارى فى نشره بأساً .. فالأسماء مستورة .. وليس من السهل تمييز أصحابها ، ونصف اهل بلدنا ولله الحمد يخافون من ظلهم .. وانا اعرف فى مصر كثيرين ، يتجشمون تسلق الدرج المرتفع ، حتى تنقطع أنفاسهم ، ولا يأمنون استخدام المصعد .. لأنهم يعتقدون انه سينفلت من حباله ويسقط بهم فى الأعماق .. أما انا فاقسم انى ما خفت المصعد قط يوماً .. لأنى اسكن فى اغلب احيان فى الطابق الأول ..

حضورى اليكم فى ساحل البحر ليس من الميسور ، لانى فيما يبدو اركب السفينة من « مارسيليا » .. ولكنى قد اركب الطائرة من باريس ! .. نعم الطائرة ! .. وهنا موضع الدهشة ! .. اهى شجاعة مفاجئة ..

لا أظن ذلك .. انما هى الضرورة .. ضرورة عودتى الى مصر قبيل افتتاح معرض باريس ، لأن معرضاً آخر سفتتح فى بيتى .. سترفع

(*) لمزيد من التفاصيل ارجع الى كتاب (الملف الشخصى لتوفيق الحكيم) للمؤلف ـ دار المعارف.

فيه الطبيعة ستار الوجود عن مولود .. ان هذه اللحظة الأولى والصيحة الأولى لنور الحياة فيهما من الروعة ما ينسينا احيانا كل جمال الفن البشرى .. ذلك أننا هنا أمام فن الله ! ..

جعلت السجائر وخلافها فى حزمة وتركتها فى عهدة بواب « اللوتسيا » ... واتمنى لكم جميعا اقامة طيبة فى فرنسا ، وعودة سالمة غانمة الى مصر .. وارجو ان تكتبوا الى دائما بما يلزمكم، وأسأل الله ان يجمعنا فى بلادنا على خير حال ، وان يوفقنا هناك الى انجاز العمل الأدبى الذى تعاهدنا عليه ..

واحتراماتى للمدام وتحياتى للجميع مع أخلص تمنياتى ؟

توفيق الحكيم

★ ★ ★

سجين الوزارة
ومسجون دار الكتب

« قل لصاحبك انك موظف
حكومة ولا يجوز لك أن
تقذف في وجه رئيس الحكومة
بأنه ليست جميلاً . »

الخاسر باشا

حين صار طه حسين وزيراً فى حكومة « الوفد » سنة ١٩٥٠ لم ينس صديقه توفيق الحكيم فى أول فرصة أتيحت له ليضعه فى منصب كبير يليق به .

فقد تحدث طـــه حسين الى ابراهيم فرج الوزير فى نفس الوزارة ، وصديق الاثنين ، فى أمر ترشيح توفيق الحكيم فى وظيفة « مدير دار الكتب» الشاغرة ، فزكى ابراهيم فرج هذا الترشيح ، وجعلته علاقته الوثيقـــة بمصطفى النحاس رئيس الوزراء ، يفاتحه فى هذا الموضـــوع ، فقال النحاس مازحاً :

كده .. توفيق الحكيم الذى شتمنا نعينه ونكافئه بالمنصب !

فقال له ابراهيم فرج : انه فخر لك ان تعين من شتمك ، مديراً لدار الكتب ، واى مدير هو .. انه اكبر مستوى فكرى يتولاها بعد لطفى السيد.
ضحك النحاس وقال : انه فعلا يستحق المنصب (*) !

★ ★ ★

ولما كان مصطفى النحاس يطلق عليه لقب « الزعيم الجليل » فقد كتب عنه توفيق الحكيم فى « شجرة الحكم » واطلق عليه لقب « الزعيم الجميل » ، وادار معه حواراً مسرحياً بينه وبين صاحب صاحب المعالى « مكرم عبيد » ، على اساس أن يترك النحاس الحـكم ليكون « زعيم الأمة » ، ولكن صاحب المعالى نصحه بعدم تصديق هذا الكلام لأن الزعيم الذى يترك الحكم فى بلادنا يصبح وضعه أشبه « بالقفاز » الجامد الذى انسحبت منه الأصابع ، والأصابع هى الحكم والسلطة ، اما القفاز فهو المبادىء وبرامج الحكم .

ولم يغضب مصطفى النحاس وانما تأثر بعض الشىء من استخدام تعبير « الزعيم الجميل » .

وقال « لابراهيم فرج » (وهو زميل قديم لتوفيق الحكيم منذ مدرسة الحقوق) : قل لصاحبك انك موظف حكومة ولا يحق لك أن تقذف فى حق رئيس الحكومة لأننى لست جميلا .

(★) من حديث ابراهيم فرج سكرتير حزب الوفد للمؤلف فى ١٩٨٨/١/٢٦ .

غير أن النحاس باشا قد تضايق فعلا عندما كتب توفيق الحكيم فى « الأهرام » عن « الخواتم المزيفة » مشيراً فيها الى ان الاحزاب القائمة فى البلد كلها مزيفة .

وكان ذلك على اثر فوز مصطفى النحاس فى الانتخابات بالأغلبية ، وتكليفه برئاسة الوزراء ، وصرخ النحاس باشا وهو يرأس الجلسة الأولى لمجلس الوزراء : يقول عنا اننا مزيفون مع اننا فزنا بثقة الأمة .. فكيف يقول الحكيم هذا ويساوينا بحزب الأقلية الفاشل ؟!

★ ★ ★

وكان « انطون الجميل » رئيس تحرير « الأهرام » آنذاك ، شخصية ماكرة كما يصفه توفيق الحكيم نفسه ، فنشر المقال فى مكان بارز لفت اليه الأنظار وأهاج النحاس الذى راح يصيح فى مجلس الوزراء :

يقول اننا مزيفون ؟ نحن مزيفون ؟ فليقل ذلك عن الحزبين الساقطين الآخرين .. أما « الوفد » الذى خرج من الانتخابات فائزا هذا الفوز الساحق .. كيف يقول عنه انه مزيف ؟ ومن الذى يقول ذلك ؟ موظف رسمى هو مدير الارشاد والدعاية للحكومة !! .

ونهض احد الوزراء يسأل :

كيف مر هذا المقال ؟

ومن هو مدير المطبوعات المسئول عن مراقبة النشر .. (كان الوقت زمن الحرب العالمية الثانية) .

وكان المسئول عن المطبوعات آنذاك هو الأديب « محمد فريد ابو حديد » فسألوه ، فأجاب : أن المقال عمل ادبى .

فسخروا منه ، وقالوا عنه انه هو ايضا أديب ولا يفهم فى السياسة ، ونقلوه من منصبه كمدير للمطبوعات ، وكان توفيق الحكيم ايضا مهدداً

بالنقل من منصبه « كمدير للارشاد والدعاية » بوزارة الشئون الاجتماعية، وقد جرى كلام فى احدى جلسات مجلس الوزراء حول هذا المدير الذى من واجبه الاشادة بالحكومة فاذا به يقول عنها انها مزيفة ، واخذ أعضاء الحكومة فى هذه الجلسة يتداولون فى الوظيفة التى ينقل اليهـا توفيق الحكيم ، واشترط النحاس باشا بطبيعته المعروفة عدم المساس بالمرتب والدرجة ، وجعل كل وزير يفكر ، وأخيراً تكلم احد الـوزراء ، وكان مشهوراً بأنه « ابن نكتة » ، وهو نجيب الهلالى باشا ، مصرحاً بأنه وجد الوظيفة المناسبة :

فصاحوا كلهم : وما هى ؟

فأجابهم : وظيفة فيها كل الشروط : نفس المرتب ونفس الدرجة ، ومناسبة له هو بالذات تماما .

فلما سألوه عنها اجاب بكل جدية : وظيفة باشـكاتب مستشفى المجاذيب ! .

واعتبروها نكتة ، وانتهت مناقشة موضوع نقل توفيق الحكيم عقاباً له على طول لسانه على الوفد وحكومته ورئيس وزرائه ، عند هذا الحد، حتى صارت وظيفة مدير دار الكتب شاغرة ، فرشح وزيـر المعـارف د. طـه حسين ، توفيق الحكيم ليشغلها ، وعرض الأمر فى اجتمـاع لمجلس الوزراء ، فوجم اكثر الوزراء ، وهم يظنون ان النحاس باشا ، سوف يثور على وزير المعارف الذى يرشح له كاتبا سبق ان هاجمه اكثر مرة ليرقيه من موظف درجة ثالثة الى مدير عام بدرجة وكيل وزارة ، فاذا بالوزراء الواجمون تزداد دهشتهم وهم يرون رئيس الوزراء يوافق بكل سرور على « توفيق الحكيم مديراً لدار الكتب » ، وهو يقول :

ان هذا تشريف للجامعة (اشارة الى ممثلها طـه حسين صاحب الترشيح) وليس تشريفاً لتوفيق الحكيم .



صار طــه حسين وزيراً للمعارف ، ونال الباشـويــة واصبــح « طــه حسين باشا » ، وصار «توفيق الحكيم مديراً لدار الكتب » .

وفى صيف ١٩٥١ اعد طــه حسين عدته كعادته لقضاء الصيف ، وأسرته فى مصيف من المصايف ، وقد ذهب توفيق الحكيم لتوديعه فى السفينة قبيل ابحارها ، وحاول طــه حسين اقناعه بالسفر معه الى المصيف ، ولكن ظروف توفيق الحكيم لم تكن تسمح له بمغادرة مصر رغم قيظها الشديد ، وافترقا الصديقان ، ولم تنقطع خطابات كل منهما عن الآخر .

ولما كانت كتب توفيق الحكيم تترجم الى اللغات الأجنبية ومنها اللغة الفرنسية ، فقد كان من الطبيعى اذا سافر طــه حسين الى فرنسا أن يتابع له ما يتعلق بهذا الأمر ، ولما كانت « يوميات نائب فى الأرياف » احد هذه الكتب المترجمة والمنشورة بالفرنسية فى أكثر من طبعــة ، وما يترتب على ذلك من حقوق مادية للمؤلف حين ينشر ابداعه على أى نحو من الأنحاء ، فقد احتفظ طــه حسين لصديقه بهذه المستحقات التى فيما يبدو أن الناشر قد أودعها لديه لمعرفته بالصــلات الوثيقــة بين الصديقين الكبيرين ، ولم يكد توفيق الحكيم يعلم بأمر هذه المستحقات حتى ارسل لطــه حسين خطابا عاجلا بالفرنسية يطلب منه الاسراع بها اليه ، ويوضح له السبيل الى ذلك ، فيقول فى :

١٩٥١/٦/٢٦

القاهرة

٣٣ شارع القصر العينى

جاردن سيتى

سيدى

علمت عن طريق السيد / اتاميبـل ان لى طرفــكم رصيد بخمس وعشرين الف فرنك فرنسى حق نشراجزاء من كتابى « يوميات نائب فى الأرياف » .

ولتسهيل السداد ، اقترح أن تدفعوا هذا المبلـــغ الى الأستاذ / فريـــد شحـــاته .

وانى لأشكركم بشدة .

وتفضلوا بقبول خالص التحية ؟

توفيق الحكيم



ولما كان طه حسين لا يستقر أحياناً فى مصيف واحد ، فانه فى هذه السنة (١٩٥١) قد انتقل من باريس الى ايطاليا ، ومن هناك كتب رسالة الى توفيق الحكيم (نشرها الأخير) ولكننا سنشير الى بعض مقتطفات منها لنربط بينها وبين رد توفيق الحكيم على طـــه حسين .

يقول طـــه حسين فى رسالته المؤرخة فى ٢٨ يوليو ١٩٥١ ما يفيـــد شوقه اليه « فقد مضت أيام كثيرة طويلة منذ افترقنا ولكنا نذكرك فنطيل ذكرك ، واذكرك حـين اخلو الى نفسى فاطيل ذكرك أيضاً . فانت بعيد قريب » .

ثم يذكره بأيامهما فى المصيف على جبال فرنسا وما أسفر عنه ذلك اللقاء من كتاب « القصر المسحور » ويحدثه عن المكان الذى يصطاف فيه ، ويغريه بوجود مكان جيد صالح ليمارس فيه هوايته فى الصيد ، مع وجود قهوة تصلح ليمارس فيها كتابته ، يغريه بذلك ثم يرثى لحاله كسجين فى « دار الكتب » « ولا يعفيك من قيظ الصيف الا هذا الهواء المصطنع الذى يصنعه الانسان بقدرته الضيقة ولا تصنعه الطبيعة بقدرتها التى اطلقها الله اطلاقا » .

ثم لا يعفى طـــه حسين نفسه من الرثاء ، فالحرية التى يتمتع بها محدودة لها أول ، ولها انتهاء ليعود بعد ذلك « سجين الوزارة أو سجين الدار » .

ثم يصف طـــه حسين لصديقه كيف يقضى صيفه فى القراءة هذا العام ، ومما يقرؤه بعض الكتب عن الأندلس وادبائها ، ويعترف فى تواضع العلماء العظام بأن « علمى بالأدب العربى الأندلسى ضئيل متواضع » .

فلم يكن طـــه حسين على اتساع ثقافاته يرى انه كعميـــد للأدب العربى قد احاط بكل الأدب العربى فى مختلف بيئاته وأوطانه .

ثم يسأل طـــه ، الحكيم : عن حاله وحال الأدب معه ، وكيف احتمل القيظ ، ثم يطلب منه ان يكتب اليه متمنياً له « خير ما احب لك من صحة وعافية وراحة نفس وفراغ بال ورضى ضمير » .

وكان تعليق توفيق الحكيم على هذه الرسالة التى ارسلها اليه صديقه كوزير مسئول يدل على ان طه حسين لا تغيره المناصب ، فيقول « ومن رسالة طـــه حسين هذه ندرك ان مشاعره كانت مشاعر الأديب الطلق الروح وليست مشاعر الوزير المقيد المغلق » .

★ ★ ★

وقد حركت رسالة طـــه حسين ، توفيق الحكيم ليكتب ردا مطولا فى ست صفحات من القطع الصغير يشكو فيه حال الاديب فى مصر والذى لا شىء يحميه الا انتسابه للصحافة حتى بات الخلط واضحاً بين الاديب والصحفى ، ثم يتحدث عن نشاطه كمدير بدار الكتب والتى نلمح مـــن خلالها لأول مرة ملمحاً من ملامح شخصيته الادارية أشرف على اخراج كتب الأدباء الأقدمين قائلا فى سخرية « لست اليوم بمؤلف ولكنى مخرج!» على ان اهم قضية فى الرسالة هى قضية « تفكك المثقفـــين » وغياب دورهم ، الذى انعكس فى أزمات مر بها الصديقين .

ولنقرأ نص رسالة الحكيم التى تحمل روحه الساخرة التى انعكست على كل مؤلفاته :

القاهرة فى ٦ اغسطس ١٩٥١

صديقى الجليل

ما اسعدنى بذلك الخطاب الذى تفضلت فارسلته مع الطائرة والنسيم من شمال ايطاليا ليلحق بى فى ميدان باب الخلق (حيث دار الكتب) .. وافانى بعبيره اللطيف وتعبيره الجميل فى وقت الظهيرة بالضبط .. عرفت ذلك لا من اشتداد القيظ ولا من دقات الساعة ، ولكن من رائحة الشواء تصعد الى نافذتى ، على العادة فى مثل ذلك الوقت ، من « كبابجى الكتبخانة » .. !

وهذا المطعم ليس بمطبع تابعاً للدار . فما هو غير واحد من عشرات المحال والحوانيت التى تحمل اسم دارنا العتيدة . فهذا حلاق « دار الكتب » وهذا طرابيشى دار الكتب .. وهذه صيدلية دار الكتب .. وهذه قهوة دار الكتب .. الخ .. الخ .

فدار الكتب كما لاحظت مع العجب والاعجاب لها شخصيتها الفريدة فى ذلك المكان .. على نقيض جارتها وشريكتها فى البناء واعنى دار الآثار .. فهى مع التصاقها بدار الكتب من قديم .. منذ نحو نصف قرن من الزمان لا يكاد يعترف بوجودها أحد من أهل الحى أو تجار الميدان . فما رأيت قط حانوتاً يحمل اسم دار الآثار حتى ولا حانوت كباب ! ..

هذه الجارة المغمورة الحائرة قد آن لها ان تترك لنا حيزها الضيق نتنفس نحن فيه ، وتسعى هى الى حظ اوفر وشهرة اوسع فى حى آخر ! ..

على ان لدار الكتب ذكريات أدبية تروى كما تروى الأساطير عن حافظ ابراهيم يوم كان وكيلا لها واتخاذه مقراً لعمله الرسمى وغير الرسمى تلك القهوة التى تحمل اسمها .. يجتمع فيها باخوانه من أدباء العصر البوهيميين أمثال امام العبد ،والبشرى ..

كان حى باب الخلق فيما أرى .. « مونمارتر » (*) أدباء مصر وشعرائها ! هل لنا أن نتحسر على ذلك العهد ؟ أو أن من الخير للأدب والأدباء أن تقوم بينهم الحواجز القائمة اليوم فلا لقاء ولا مراسلة ولا تعاون ولا تساند ..

(★) حى ادبى فى باريس .

وهل يستطيع الادب الفرنسى مثلا أن يبلغ مكانته هذه بغير هــذه الدولة التى استطاع أن ينشئها لنفسه ؟

أن دولة الأدب الفرنسى كيان ذو خطر فى قلب الأمة الفرنسية . دولة معنوية روحية لها تقاليدها وحقوقها وواجباتها . فهى حاملة الثروة الفكرية القومية من جيل الى جيل . لذلك نسمع فيها دائما رنين عملتها التى لا تقوم بذهب ! فمحافظو هذا المصرف الخالد وسدنته وحراسـه ينتهزون كل فرصة لمراجعة رصيدهم .. ما من اديب أو مفكر أو شاعر يمضى على وفاته أو ميلاده مدة حتى يجتمع الأدباء فى النوادى والجمعيات بل أحياناً فى المقاهى والمطاعم يذكرونه ويعددون أعماله .. بل انهـم أحياناً يجتمعون للاحتفال بمرور كذا من الأعوام على ظهور هذا الكتاب أو ذلك الأثر .. مما يرونه قد اضاف ثروة الى أدبهم القديم أو المعاصر . بمثل الاجتماع وهذا التنظيم استطاع الادب فى فرنسا وفى انجلترا وفى المانيا وغيرها من الأمم ذات الثقافة الممتازة ان يكون له وجود قائم بذاته غير متعلق بأذيال الصحافة .

أما فى مصر فالأدب الذى كاد ينجح منذ ربع قرن فى تكوين شخصيته المستقلة المرموقة بالتقدير والاحترام قد تفككت اليوم حلقاته وتشتتت جمـوعه ، لم يجـد له هيئة ينتسب اليها غـير الصحفيين لقـوتهم وتساندهم وتجمعهم تحت سقف نقابة وبيت . حتى اصبحنا واذا الناس لا يفرقون فى مصر اليوم بين الأديب والصحفى ؟

ويا لها من كارثة ! .. نعم هى كارثة لا بد لها من درس وبحث وعمل حاسم .. ومن الخير المبادرة بالتفكير فى بعث نادى القلم وتنظيمه على أساس جديد ! .

أما عن حالى فهو مستغرق كله فى عملى بدار الكتب . كل همى هو علاج ذلك الأمر الذى يدهشنى ويدهش الكثيرين : البطء فى اخـراج الأغانى (*) .. فالجزء الثانى عشر لم يظهر منذ تسع سنـوات .. لماذا ؟ لأن كل جزء يعهد به الى مصحح واحد .. ويكفى أن يكسل هذا المصحح ليكسل معه كل مصححى الأجزاء الأخرى ، انتظاراً لنشاطه . فاذا سألنا من يحقق الجزء الرابع عشر عن عمله ؟ قال :

(*) الأغانى للأصفهانى .

وهل انتهيتم ممن قبلى .. ومن قبله يقول ذلك عمن قبله .. وهكذا وهكذا ، ولم أر بدأ لعلاج ذلك من ان الجأ الى طريقة « توسكانينى » فى التدريبات الموسيقية .. كان يحمل فى آن واحد كل مجموعة على اجادة ادائها . فالآلات الوترية والآلات النافخة ، والآلات النحاسية ..

كل مجموعة منها يجب أن تتدرب على العمل فى نفس الوقت .. كذلك قسمت المصححين الى مجموعات .. كل مجموعةمسئولة عن انجاز جزء تحت اشراف مراجع ..

وبهذه الطريقة آمل أن يخرج للناس فى الشتاء القادم باذن الله ثلاثة اجزاء من الاغانى دفعة واحدة .. هذا فضلا عن ظهور المصحف الشريف ، والجزء الأول من فهرس مصر ، وفهرس المخطوطات ، ومؤلفات أخرى ذات قيمة .

أما عن عملى انا فلا شىء .. لا لأن الوقت يعوزنى . بل لان الذى يعوزنى هو الجو ! لا يوجد فى مصر الآن ما يمكن أن يسمى بالجو الأدبى .. لدينا الجو السياسى ، والجو الصحفى ، والجو الغنائى والسينمائى .. أما الجو الأدبى فمن الفتور — ان وجد — بحيث يعجز عن اثارة النشاط وبعث الهمم . لا فقط من الناحية المعنوية بل من الناحية المادية ايضا . فما من ناشر الآن يقدم على شراء كتاب .

ان الكتاب المصرى ايضا فى خطر ، فهو بالطبع تابع للأدب . وازمة هذا من ذاك .. باستثناء تلك البدعة الجديدة التى ظهرت الآن ويسمونها الكتاب الشهرى . وهى سلسلة كتب صغيرة تصدرها دور الصحف الكبرى ، متعقبة الأدب والأدباء لتقضى على آخر مظهر لاستقلالهم وهو الكتاب ! ..

نعم .. لا أجد متعة الآن فى اخراج كتب لى ، ولكنى أجد المتعة فى اخراج كتب لآخرين .. وان كانوا من الأدباء الأقدمين . لست اليوم بمؤلف ولكنى مخرج ! وعلى ذكر الاخراج ننتظر عودة معاليك لبحث المشروعات السينمائية ..

وفى الختام ارجو لكم وللسيدة الكريمة وللؤنس أوفر صحـــة وأتم عافية واكمل هناء وصفاء وسرور ، والله اسأل أن يمتعنا بعودتكم الميمونة قريباً .

ولكم منى ومن الوطن الذى ينزلكم اسمى منزلة من تقديره ، أصدق التحية واعمق الود واخلص الاجلال .

توفيق الحكيم

★ ★ ★

ثورة يوليو
بين
طه حسين وتوفيق الحكيم

- « نفسي ليست مستقرة .. جثماني في إيطاليا ونفسي في مصر . »

طه حسين

- « كل شيء في رأسي ونفسي مضطرب ثائر .. وإني لأفكر في كل شيء وكما لو كنت أنا المنوط به حل الأمور .. »

توفيق الحكيم

(١)

لم يستمر طـــه حسين وزيراً للمعارف كثيراً وان ترك فيها أثراً بعيداً ، فقد تلاحقت الاحداث منذ حريق القاهرة حتى قيام الثورة ، فكان طـــه حسين يصطاف فى « البندقية » بايطاليا ، بينما كان توفيق الحكيم فى القاهرة للصيف الثانى على التوالى ، فلم يزل « مديراً لدار الكتب » التى استمر بها حتى سنة ١٩٥٨ ، بينما كان طـــه حســين خارج الوزارة منذ يناير ١٩٥٢ حين خرجت الحكومة نفسها فى مثل هذا التاريخ عقب احراق القاهرة ، ثم تتابعت بعدها عدة حكومات أفلت معها الاستقرار فى مصر ، مما كان أحد أسباب التعجيل بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ولا شك أن كتاب مصر وأدبائها ومفكريها كانوا على موعد مع هذه الثورة لأنهم الذين بشروا بها ودعوا اليها ومهدوا لقيامها ســـواء بالرمز والتلميح أو بالجهر والعلانية ، فقد بلغ فساد الحكم مداه ولم يعد هناك مفر من الثورة ، أو « العاصفة المباركة » التى نادى بها توفيق الحكيم ، وان كان طه حسين أكثر أدباء جيله وعيا بما يجب أن يحـــدث حين كتب « المعذبون فى الأرض » ، حيث أعتبر الكتاب فى حد ذاتـــه ثورة ، وتمت مصادرته ولم يفرج عنه الا بعد الثورة التى جاءت « كالفجر الصادق » كما وصفها طـــه حسين نفسه .

وسوف نلتقى الأصداء الأولى للثورة عند طـــه حسين وتوفيـــق الحكيم من خلال رسالتين متبادلتين ، لسنا فى حاجة الى اعادة نشرهما لانهما منشورتين بالفعل (*) ، ولكن سنشير الى مضمونهما من بـــاب

(*) رسالة طه حسين فى كتاب « وثائق من كواليس الادباء » لتوفيق الحكيم (كتاب اليوم) ، ورسالة توفيق الحكيم فى كتاب « طه حسين ومعاصروه » لنبيل فرج (دار الهلال) .

المقارنة بين موقفين لأديبين كبيرين طالبا وبشرا بالثورة ثم كانا نجمين من نجومها المكرمين .

فاذا كان توفيق الحكيم فى كتابه « شجرة الحكم » ١٩٤٥ قد تنبأ « بالعاصفة المباركة » لاصلاح الفساد ، ثم دعا فى نهاية الأمـــر الى ضرورة « احداث الثورة المباركة ، التى تقيم الوطن على أقدام الصحة والقوة والنظام » .

واذا كان توفيق الحكيم قد ساهم فى صنع فكر صاحب الثورة من خلال كتابه « عودة الروح » ١٩٣٣ ، والذى اعترف عبد الناصر نفسه بتأثره به حيث ساهم فى تكوينه الفكرى والوطنى ، حيث بشرت « عودة الروح » بالثورة المرتقبة وبالزعيم المعبود ، مما جعل عبد الناصر يشعر فى قرارة نفسه انه هو ذلك الزعيم المنتظر .

فان طه حسين فى كتاباته المتعددة :

« جنة الشـــوك »

« جنة الحيـــوان »

« مرآة الضمير الحديث »

« أحـــلام شهرزاد »

« المعذبون فى الأرض »

كان يحرص على الثورة ويدعو اليها ، ولذلك حين قامت الثورة كانت فكرتها وجوهرها واضحتان لديه كل الوضوح ، ففى استفتاء اجرته مجلة « الهلال » فى عدد أول ديسمبر ١٩٥٢ (أى بعد حوالى اربعة شهور من قيام الثورة) حول « أدب النهضة الجديدة » سنجد أن عباس محمود العقاد ، يتحدث عن الثورة باسم :

« الانقلاب الجديد »

وتوفيق الحكيم نفسه يسميها هو أيضاً « الانقلاب الجديد » ، على الرغم من أنه صاحب تعبير « العاصفـــة المباركـــة » ، و « الثورة المباركة » ، قبل قيامها بسنوات فى كتابه المشار اليه .

أما طــه حسين فقد كان اكثر تحديداً لانه كان أكثر فهماً ووعيــا بالأحداث الجديدة فسماها « الثورة » ، لا يقولها عفواً ولكنه يقصدها قصداً لغة ومضموناً وهدفاً ، حين يكررها غير معترف بتسمية أخرى دونها ، ويمكننا ان نلاحظ عمق معنى كلمة « الثورة » ومدلولها فى أول رد فعل لطــه حسين على قيام الثورة حين ارسل لصديقه توفيق الحكيم من مصيفه بايطاليا رسالة بعد احد عشر يوما فقط من قيامها مبينا أن الأدب هو الذى هيأ الأمور للثورة كى تقوم ، وسيكون له اثره فى التعبير عنها بعد قيامها .

يقول طــه حسين فى رسالته المؤرخة بالثالث من اغسطس ١٩٥٢ :

● كم كنت احب ان اكون معك فى مصر او أن تكون معى فى اوربا اثناء هذه الأيام التى تنشر فيها مصر من تاريخها كتابا وتطوى كتابا .

● خيل الى ان للأدب حقه فى هذه الثورة الرائعــة هيأها لها قبل أن تكون وسيصورها بعد أن كانت .

● نفسى ليست مستقرة . جثمانى فى ايطاليا ونفسى فى مصر .

★ ★ ★

اماتوفيق الحكيم فيظهر أول رد فعل له فى خطابه الذى رد بــه على طــه حسين ، وفيه يعترف بأنه يعيش احداث الثورة « كمواطن مصرى ، ولكنه مع ذلك « مضطرب ثائر » ، أما كاديب فهو لا يستطيع أن يكتب شيئاً قبل ان يستوعب ما جرى وما يجرى من احداث متلاحقة، فيقول فى رسالته الى طــه حسين :

● ان احداث مصر قد شغلتنا عن الحر والشعور بوطأته . وهى احداث أجل من أن توصف فى خطاب . بل انى ارى الأدب عاجزاً عن تسجيل تلاحقها السريع .

● ان كل شيء في راسي ونفسي مضطرب ثائر .. وانى لافكر فى كل شيء كما لو كنت أنا المنوط به حل الأمور .. فانا أعيش حياة بلادى الآن كما يعيشها المواطن الصالح .

● اعيشها كانسان .. وكمصرى ، وارجو ان أعيشها مرة اخرى كاديب عندما يكتمل لى استيعاب اكثر نواحيها .

★ ★ ★

لقد استقبل الاديبين الكبيرين « ثورة يوليو » استقبال المنتظر لها المترقب لحدوثها ، المتوقع لقيامها ، حتى اذا قامت بالفعل حدث لكل من الأديبين ، القلق والاضطراب ، فطـه حسين « نفسى ليست مستقرة »، وتوفيق الحكيم « كل شيء فى راسى ونفسى مضطرب ثائر » !

ففيم الاضطراب والقلق وعدم الاستقرار فى النفوس والرءوس ، اليست هذه هى الثورة التى بشرا بها ودعيا اليها ومهدا لقيامها بادبهما مع من مهدوا لقيامها من الأدباء ، فلماذا القلق والاضطراب ، هل كانا يتوقعان ثورة شعبية كثورة ١٩١٩ ، ثم فوجئا بها ثورة عسكرية فحدث لهما القلق وعدم الاستقرار خاصة وان ذكرى ثورة عرابى لا تزال مأساتها ماثلة فى الأذهان ، قلق من الثورة ؟ أم قلق على الثورة ؟ أم هو قـــلق من الثورة على الثورة بما سوف تسفر عنه من نتائج لا احد يعلم الى ماسوف تؤدى اليه خاصة أن القائمين عيلها مجموعة من الشباب العسكريين الذين تنقصهم الخبرة كما تنقصهم الحكمة ؟ وهل نستطيع أن نفسر قلق الأديبين الكبيرين بلجوء أحدهما فيما بعد الى الفن كتوفيق الحكيم ، ولجوء الآخر الى الصمت ، أو الحوار مع قائد الثورة كطه حسين ؟

لقد لجأ توفيق الحكيم الى الفن فكتب « السلطان الحائر » محبذاً سيادة سلطان «القانون » على سيادة سلطان « السيف » ، كرسالة الى قائد الثورة مغلفة بغلاف فنى عله يختار طريق « القانون » ، كما كتب توفيق الحكيم « بنك القلق » حول ضياع الهوية بين الاشتراكيـــة والرأسمالية .

اما طـــه حسين وان كان قد آثر الصمت أو المهادنة فانـــه كان يتحاور مع قائد الثورة — يقول — « وقد حدثته مرة فى الذين يعتقلون وتتعرض اسرهم لحياة عسرة . فقال لى : اطمئن اذا كان المعتقل موظفاً فمرتبه يصرف لأسرته دائما ، واذا لم يكن موظفاً فوزارة الأوقاف تكفل أسرته حتى تتاح له الحرية » (*) .

فهـــل كان طـــه حسين يضحـــك على الدولة بما يكتب ثقـــه منه فى ذكاء القارىء الذى يمكنه أن يدرك مقاصد طـــه من كتاباته التى لم يكشف فيها عن آرائه وانتقاداته صراحة بينما السطور وما بينها توضح وتصرح حتى لو كان قد انتقل بالزمان والمكان الى أيام صعاليك العرب ؟!

★ ★ ★

أيا كان الأمر فى مصدر القلق والاضطراب الذى حدث لطـــه حسين وتوفيق الحكيم كأول رد فعل لهما على قيام الثورة ، فان متابعة موقفيهما من الثورة منذ قيامها وحتى رحيل كل منهما يقتضى بحثاً آخر يستند الى الوثائق والمراجع وشهادة الشهود لانصاف كلا منهما دون تحيز او تجاوز للموضوعية ، مع الأخذ فى الاعتبار الا نطالبهما بأكثر مما يحتمل المفكر او يطيق البشر ، فليس من المتصور فيمن كان فى مثل سنهما ومكانتهمـــا ان يكونا من بين المعتقلين يجرى لهما ما يجرى على المعتقلين مما لم يعد سراً ، فحسبهما داعيين للثورة مبشرين بها ممهدين لها ضمن من مهدوا ، وليكن بعد ذلك لغير جيلهما دور آخر ، فليس مطلوباً منهما ان يقوما بكل ادوار البطولة ، فقد انقضى زمن عنترة ، وولى زمن ابو زيد الهلالى .

ليس هذا تبريراً ، ولكن يكفى أن يضع احدنا نفسه مكانهما ويتصور موقفهما ، لقد ساهما بالفكر والأدب فى حدود دورهما فى التمهيد للثورة التى انتظرها كل المصريين ، ويكفيهما هذا الدور فخراً وشرفا لينتهى

(★) من كلمة طه حسين فى تأبين عبد الناصر بمجمع اللغـــة العربية صباح الاثنين ٥ اكتوبر ١٩٧٠ .

دورهما ، ويبدأ بعد ذلك دور جديد لجيل جديد سيتمتع بايجابيات الثورة وعليه أن يواجه سلبياتها ، أما هما فقد زرعا الشجرة حتى أثمرت ، وعلى من يقطف الثمار ان يتحمل الأشواك او يتغلب عليها .

★ ★ ★

وقد كرمت الثورة الأديبين الكبيرين وعرفت لكل منهما حقه ، وقدرت لكل منهما مكانه ومكانته الأدبية ، فمنحتهما أرفع وسام من أوسمتهـــا وهو « قلادة النيل » ، بل وأبعد زعيم الثورة وزيراً للتعليم لم يقدر لتوفيق الحكيم حقه فادرج اسمه ضمن قائمة المطلوب تطهيرهم فى حركة التطهير باعتباره ليس منتجا . موصيا باعفائه من منصبه كمدير لــدار الكتب ، غير أن عبد الناصر أعفى الوزير نفسه ، وأبقى على توفيق الحكيم .

(٢)

كان توفيق الحكيم حريصا كل الحرص على الا يجرح طـــه حسين على الأقل فى حياته ، خاصة بعد ان استقرت صداقتهما على نحوهـــا الوطيد مع نهاية الأربعينيات وما تلاها من سنوات .

فى حوارى مع توفيق الحكيم قال لى (*) :

ان يوسف السباعى عندما زارنى لأول مرة فى دار الكتب حينما كنت مديرها ، وعرض على فكرة انشاء نادى القصة ، ارادان اكـــون أنا رئيسا لذلك النادى ، مع استبعاد طـــه حسين وآخرين كمحمد حسين هيكل ، والعقاد ، بحجة انهم فى الأصل ليسوا قصاصين على الأقل فى نظر القراء خاصة انه فى ذلك الوقت كانت الرواية او القصة قد بدات كتيار ادبى يصل الى الجمهور ويحس به ، ومع ان د. هيكل والعقاد وطـــه حسين قد ساهموا فى القصة الروائية بنصيب الاانها لم ترتبط بهم او تعتبر من اهتمامهم الأساسى المؤثر فى أجيال الشباب الذى يريد التفرغ للقصة ، فقد انشغل هؤلاء الأدباء عن ذلك بالسياســـة التى جرفتهم الى حد ما ، ولكننى مع ذلك رايت ان نادى القصة الذى يزمع السباعى تأسيسه من الضرورى أن يضم كل الأجيال التى ســـاهمت فى تاريخ القصة المصرية ولو بعمل واحد ، ورفضت ان ادخل فى نادى ادبى لا يكون فيه طـــه حسين بالذات ، مع الاعتذار عن رياسة النادى فى حالة وجـــود طـــه حسين الذى رشحته لرئاسته واكتفائى بأن اكون عضواً فيه .

(★) فى ٢٠ ديسمبر ١٩٨٦ .

وقد أخذ يوسف السباعى بفكرتى وعمل على تنفيذها بدقته المعهودة، ولكنه قابلنى بعد ذلك ليخبرنى بأن المشكلة مع بعض هؤلاء الأدباء الذين ذكرتهم تقوم على الحساسية عندهم من ناحية رياسة النادى ، فالعقاد يرفض الانضمام اذا عرف أن طـه حسين هو الرئيس ، وطـه حسين يعتذر اذا كان د. هيكل سيكون الرئيس ، ولذلك فقد اعتذر كلا من العقاد ود. هيكل عن الانضمام تفاديا للحرج قبل اعداد اللائحة أو القانون الذى سيسمى الرئيس والأعضاء » .

ويتذكر توفيق الحكيم واقعة اخرى حين تمت دعوته لزيارة « الاتحاد السوفيتى » لحضور مهرجان يحتفل بعيد ميلاد كاتبهم « مكسيم جوركى»، فاشترط الحكيم ألا يكون بمفرده واقترح اسم طـه حسين ، ولكنهم اعتذروا بحجة اشتراكه وزيرا فى العهد السابق ، واقترحوا بدلا منه « فكرى أباظة » .

وحاول توفيق الحكيم التهرب من تلبية هذه الدعوة ، فعندما جاءه فكرى أباظة لترتيب السفر اشترط عليه اخذ موافقة عبد الناصر ، لأن العلاقات مع السوفييت آنذاك لم تكن واضحة خـلال الخمسينيات ، وجاءتهما موافقة عبد الناصر الذى رحب باختيارهما ، ومع ذلك لم يتم السفر ، فقد اتخذ توفيق الحكيم من توقيت السفر الذى تصادف مـع فصل الشتاء حجة ، فقال لهم :

ان نابليون ذهب الى روسيا شتاء فانهزم ، فكيف أسافر أنا فى نفس الوقت !!

★ ★ ★

ولا نعثر لطـه حسين وتوفيق الحكيم بعد ذلك على رسائل متبادلة بعد رسالتيهما المشار اليهما كاول رد فعل لقيام الثورة ، اللهم الا مرة واحدة فى صيف ١٩٥٤ ؛ فقد وصل توفيق الحكيم الى باريس حوالى منتصف يونيه من نفس العام بعد حضـوره تمثيل مسرحيته « أهـل الكهف » « بالايطالية » فى « بالرمو » ، فأرسل الحكيم الى طـه الذى كان لا يزال بالقاهرة ، رسالة يخبره فيها بوجوده فى باريس ويطلب منه

الاتفاق على موعد ومكان اللقاء فى فرنسا ؛ ولكن رد طـــه حسين ابطأ فى الوصول ، مما جعل توفيق الحكيم يرحل عائداً الى مصر .

أما سبب ابطاء رد طه حسين على رسالة صديقه فقد اوضحها طـــه حسين فى رسالته الى الحكيم بتاريخ ٢٨ اغسطس ١٩٥٤ ، حيث لم يصله خطاب توفيق الحكيم الا وهو على جناح السفر ، وقد ظن أنه سيلقاه فى باريس ، الا انه عندما وصلها ، وجد الحكيم قد تركها ، وفى نهاية رسالته المنشورة (*) يقول له :

(أرجوك أن تكون راضى النفس ناعـــم البال كثير الانتاج ، ولا تعتل بالحر فقد ينتج الحر ما لا ينتجه البرد) .

★ ★ ★

ولا نجد بعد ذلك ما يدل على التقاء طـــه حسين وتوفيق الحـــكيم خارج مصر وان التقيا داخلها فى مناسبات مختلفة ، وان كانت مناسبـــة انضمام توفيق الحكيم الى مجمع اللغة العربية لها قصة تستحـــق أن تروى .

(★) فى (وثائق من كواليس الادباء) .

خلاف على باب
مجمع اللغة العربية

- « وقفناك ببابنا أكثر من عامين ننتظر أن نأذن لك، فلم نأذن لك إلا بعد أن أطلت الانتظار »

طه حسين

- « بقيت أنا على ابتعادي عن هذا المجمع إلى أن فوجئت في يوم من أيام شهر أبريل ١٩٥٤ بانتخابي عضواً في هذا المجمع . »

توفيق الحكيم

فى مسألة انضمام توفيق الحكيم الى مجمع اللغة العربية روايتان متناقضتان وكلتاهما رواهما طــه حسين وتوفيق الحكيم ! .

رواية الحكيم أثبتها فى كتابه « وثائق من كواليس الادباء » ، ورواية طــه حسين أثبتها فى كلمته بالجلسة العلنية التى عقدها المجمع فى ١٧ مايو ١٩٥٤ لاستقبال توفيق الحكيم والتى أصر طــه حســين على أن يكون هو الذى يستقبله بكلمته ، مع أن المعتاد فى مثل هذه المناسبات طبقا لتقليد المجمع أن يكون الذى رشح العضو هو الذى يستقبله ، وكــان الذى رشح توفيق الحكيم هو أحمد أمين أو منصور فهمى ، ولكن طــه حسين اتصل بالحكيم تليفونياً مبديا رغبته أن يكون هو فى استقباله ، فوافق الحكيم رغبة منه فى عدم جرح احساس صديقه حتى لا يكرر معه ، ما سبق أن حدث حين عرض عليه كتابة مقدمة الطبعة الثانية من « أهل الكهف » .

وفى كلمته قال طــه حسين موجها كلامه الى توفيق الحكيم :

لست أدرى أيهما شرف بصاحبه ؟

أما أنت فلا أشك فى أنك شرفت بدخولك هذا المجمع ، فلا أقل من أن تعترف لنا بأننا نشرف من يضم الينا ، ولا أدل على ذلك من أنا وقفناك ببابنا أكثر من عامين تنتظر أن نأذن لك ، فلم نأذن لك الا بعد أن أطلت الانتظار ، ذلك بأن الوصول الينا ليس يسيراً ولا سهلا .

وأما نحن فقد شرفنا بانضمامك الينا . ليس فى هذا شك بحال من الأحوال » .

★ ★ ★

أما توفيق الحكيم فقد رفض أن يكون قد توقف بباب المجمع منتظراً ، مؤكداً أنه كان يرفض أساساً دخول المجمع كعادته فى رفض التقيد بأى حــزب أو هيئة .

يقول الحكيم فى روايته المناقضة لرواية طــه حسين والتى صمت عنها حتى رحيله ربما لأنه لم يرد أن يجرحه أيضا :

« فى عام ١٩٤٩ أو ١٩٥٠ فيما اذكر اخبرنى صديقى أحمد أمين عضو المجمع اللغوى فى ذلك الوقت أنه بالاشتراك مع الدكتور منصور فهمى الأمين العام للمجمع .. قد رشحانى لعضوية هذا المجمع . وذلك عملا بالقواعد المتبعة للترشيح ، وهو أن يتقدم به اثنان من الاعضاء العاملين . فلم اكد اسمع منه حتى ثرت صائحاً فيه :

لماذا فعلتم ذلك ، ومن قال لكم انى أريد أن أكون عضوا فى المجمع ؟

وبهت احمد امين . وجعلت اوضح له وجهة نظرى .

وهى انى فى الأدب كما فى السياسة لا أريد الانتماء الى هيئة ترغمنى على اتباع مبادئها ، فأنا حريص على أن اكون حراً أختار لنفسى اتجاهى .. ومجمع اللغة العربية وجد للمحافظة على الفصحى . وانا استخدم العامية احيانا فى كتاباتى ، واصطنع فى الادب الاسلوب الذى اراه ملائما لنوع الفن الذى اعالجه دون التقيد بمذهب ثابت .

وذهب احمد امين وابلغ المجمع باعتذارى . وبدا الامتعاض — كما بلغنى — على وجه رئيسه احمد لطفى السيد ، وقال بأسف : هذا كرسى يسعى اليه الكبراء والأمراء . ولام بعض الأعضاء احمد أمين لأنه أبلغنى بأمر هذا الترشيح . وقالوا له : ان هذا أمر يخص المجمع ، وكان الواجب ان يبقيه سراً .

ويضيف توفيق الحكيم :

وقد بقيت انا على ابتعادى كما ذكرت عن هذا المجمع الى أن فوجئت فى يوم من أيام شهر ابريل ١٩٥٤ بانتخابى عضواً فى هذا المجمع . وكان التكتم هذه المرة شديداً فلم تبلغنى اية اشارة الى سبق ترشيحى الا بعد تمام الانتخاب » .

واضطر توفيق الحكيم الى قبول ترشيحه عضواً ، ولكنه بعد ذلك لم يحضر جلساته ، وقدم استقالته منه فى اخريات سنوات حياته معللا ذلك بظروفه الصحية ، وان ميزانية المجمع لا تسمح له بالقيام بنشاط حقيقى مؤثر فى المجتمع .



ولم تخلو كلمة طــه حسين فى استقبال توفيق الحكيم من رد فعــل خاصة فيما يتعلق بكرم الحكيم وبخله ، فقد نفى عنه طــه حسين صفة البخل قائلا له :

فأنت تتكلف من الخصال ما ليس فيك : انت جواد وتزعم انك بخيل (....) وكذلك صورت نفسك للناس بصورة ليس بينها وبين الحق من أمرك صلة » .

وقد كرر طــه حسين هذا المعنى حين كتب معلقا على سيرة توفيق الحكيم الذاتية « سجن العمر » ناشراً ذلك عــلى العــامة بعــد أن اذاعه على الخاصة فى المجمع .

« ولست أصدق ما يردده دائما من انه يؤثر المال الى حد البخل به . لا اصدق ذلك لأننى جربت كرمه وسخاء يده فى البذل ، وقد قلت ذلك حين استقبلته فى المجمع اللغوى ، وان كان قد عتب على فى ذلك بعد انتهــاء الجلسة معللا عتبه بأن هذا القول قد يطمع فيه الناس ويغرى به أصحاب الحاجات » !!

ولكن توفيق الحكيم ينفى ما قاله طــه حسين فى كتابه « الأحاديث الأربعة » حين قال :

وقد تكلم طــه حسين عنى منوها بكرمى ، ونافيا عنى صفة البخل التى الصقت بى ، وعلمت بعد ذلك انه أشاع انى غضــبت من كلمته لاعلانه انى كريم ! » .

فهل أراد طــه حسين أن يرد لتوفيق الحكيم فعلته عندما رفــض ترشيحه لعضوية المجمع حين ابلغه به أحمد أمين قبل عامين من انضمامه اليه ، فأراد طــه حسين فى استقباله ان يعلن على الملأ ان المجمع لا ينتظر أحداً بل ان الكثيرين ينتظرون ببابه حتى يؤذن لهم بدخوله ، وان دخول المجمع تشريف لمن ينال عضويته . وكأنه بذلك يرد على اعتراض توفيق الحكيم على ترشيحه السابق ؟!

أما حكاية بخل الحكيم فلم تكن اكثر من مجرد نكته حين ضمنها طــه كلمته فى استقبال صديقه حين كشف عن جوانب شاعت فى شخصيته

كجانب البخل ، وهى صفات غير حقيقية أطلقها الحكيم نفسه ، أو ترك لغيره أن يطلقها عليه دون محاولة منه لنفيها أو اثبات عكسها ، حتى صارت جزءاً من شخصيته المشهورة والمعروفة لدى الناس ، ولم يكن ذلك الا من باب الدعاية التى تصنع للأديب أسماً مقترناً بصفات معينة ، كما حدث بالنسبة لتوفيق الحكيم نفسه الذى اشتهر بأنه عـــدو للمرأة بينما هو اكثر المحبين لها ، كما اشتهر بالبخل وهو ابعد ما يكون عنـــه وهو ما أحس به طـــه حسين ولمسه فى علاقته الشخصية به وكشف عنه فى كلمته المشار اليها موضحا ما يهدف اليه صديقه من وراء اخفاء صفاته الحقيقية ، حين خاطبه قائلا :

جعلت نفسك موضوعا للتندر ، فالناس اذا ذكروك تندروا وضحكوا وسخروا أحيانا . والناس يرونك فيتندرون بك ، وأنت ترضى عن كـــل هـــذا .

لمـــاذا ؟

أتريد أن ادلك على السبب فى هذا التكلف ؟

انما هو انك تحب أن يعرفك الناس ، وتحب أن يحبوك . والناس يعرفونك بالبخل اكثر مما يعرفونك بالكرم ، لأن الكـــرم شيء طبيعى لا تكلف فيه . والناس يتحدثون عن البخلاء وقلما يتحدثون عن الكرماء . والناس يتحدثون عن أصحاب السذاجة وقلما يتحدثون عن أصحـــاب التفكير العميق .

والناس يتحدثون عن الخائفين المشفقين الذين يعدون أنفسهم جبناء اكثر مما يتحدثون عن الذين لا يخافون ولا يشفقون ولا يخترعون لأنفسهم ألوان الخوف والاشفاق .

أنت اذن تحب أن يعرفك الناس ، وتحب أن يألفك الناس ، وتحب أن تكون رجلا شعبياً . وقد نجحت فى ذلك حتى كدت أن تخلق لنفسك شخصية تشبه شخصية « جحا » !!

ولست أدرى ما الذى ستصنعه فى هذا المجمع ولا ما الذى سيصنع بك هذا المجمع ؟! » .

ولم يصنع المجمع بتوفيق الحكيم شيئاً ، ولم يصنع له هو شيئـاً اكثر مما تضمنته كلمته يوم استقباله عضواً عاملا بالمجمع ، حول تبسيط اللغة العربية تخلصاً من صعوباتها وصولا الى التطور المرجو لها او كما قال :

وهذا التطور سيبدأ فى — رايى — بداية لطيفة مقبولة . وهى ان الفصحى ستحتفظ بخير ما فيها ، وستستعير من العامية خير ما فيها . وخير ما فى العامية هو هذا التمشى مع منطق اللغات الحية فى البـلاد المتحضرة :

منطق الاقتصاد والبساطة والسرعة ، اى منطق العصر ، فتلـغى من الفصحى الحركات فى اواخر الكلمات ، ويكتفى بالوقوف والتسكين فى اكثر الأحوال » .

وكان توفيق الحكيم يبغى من هذا « تبسيط قواعد النحو واللغـة الى الحد الذى يجعل القارىء او المتكلم يستطيع القراءة بغـير تعثر ولا تفكر » . .

★ ★ ★

اما موقف طـه حسين فقد كان الرفض لكل ما يبعد بالعربى عـن عربيته ، ولم يعلن عن ذلك فى مصر فقط بل اعلنه فى أكثر من مكان بأرض العرب ، ومنها سورياً حين أعلن من هناك (فى نص بين أيدينا غـير مؤرخ) فى محاضرة له بعنوان « نحو ميسر وكتابة ميسرة » .

فقال وكأنه يرد على توفيق الحكيم بشكل غير مباشر :

انا أطالب بتيسير قواعد النحو وتيسير الكتابة العربية لتشيع اللغة العربية ، وتصبح لغة الشعوب حقاً ، ولغة حية حقاً ، ولكن من الناس من كتبوا فى هذه الأيام القريبة يطلبون الغاء قواعد الاعراب ، وتسكين اواخر الكلام لا لشىء الا لأنهم لم يتعلموا اللغة العربية حين كانوا تلاميذ فى المدارس » .

وتوجه طـه حسين الى العرب يخيرهم قائلا :

« انتم كذلك بين اثنتين : اما ان تريدوا وحدة الشعوب العربية حقا وتكونوا مؤمنين بهذه الوحدة حراصا عليها ، مستعدين للجهاد فى سبيلها بالحياة والنفوس والأموال والمنافع مهما تكن ، واذن فلابد من أن تجعلوا لغتكم العربية التى تكون وحدتكم لغة الشعوب لا لغة الخاصة .

واما أن يكون حديثكم عن هذه الوحدة كلاما لا اكثر ، وأعوذ بالله وأعيذكم من ذلك .

واذن فدعوا اللغة العربية تمت ، ودعوا اللغات العامية تصبح لغة الكتابة ، وانظروا بعد ذلك اذا أراد السورى أن يقرأ لكاتب مصرى ان يترجمه الى لهجته السورية ، ويضطر العراقى اذا اضطر أن يقرأ السورى أن يترجمه للهجة العراقية .

اختاروا فليس لكم بد من الاختيار » .



خاتمة

« لو بعثت رسالة إلى :

طه حسين اليوم أقول له فيها :

إن كل ما سميناه عصر التنوير في العشرينيات

والثلاثينيات قد أصبح اليوم عصر التعتيم .. »

توفيق الحكيم

ونحن نختتم هذه الفصول ، من متابعة العلاقة بين طــه حسين وتوفيق الحكيم ، ينبغى أن نتوقف عند راى كلا منهما فى الآخر ، وان لم تخلو الفصول السابقة من ذلك ، غير أننا نريد التركيز على جملة هذه الآراء مرتبطة بزمانها ومكانها .

فنحن نذكر حين اتخذ طه حسين موقفا من وزارة الشئون الاجتماعية ، واتخذت الوزارة ضده بعض الاجراءات العقابية لاخراجه من لجانها رداً على انتقاده لها كوزارة شغلت نفسها بالدعاية والاعلان اكثر من شغلها بمهتمها كوزارة اصلاح ، ووقف توفيق الحكيم (مدير الدعاية بهذه الوزارة) موقفا سلبياً اغضب منه طــه حسين ، ومع ذلك عادت صداقتهما فيما بعد كأقوى ما تكون الى درجة أن رشح طــه حسين صديقه توفيق الحكيم مديراً لدار الكتب ، كما رحب به ترحيبا كبيراً حين استقبله فى مجمع اللغة العربية ، وشكره الحكيم على ذلك ، غير أننا نلاحظ حين أتهم توفيق الحكيم على صفحات جريدة «الجمهورية» بأن حماره مسروق من اديب اسبانى ، وان « حمار الحكيم » ليس من ابتكاره ، أن طــه حسين التزم الصمت فلم يتدخل (على كثرة تداخلاته ومشاركاته فى مثل هذا النوع من المعارك والاتهامات الأدبية) ليدافع عن صديقه توفيق الحكيم ، أو على الاقل ليدلى بدلوه فى قضية السرقة الأدبية المثارة ضد صديقه ، بل ان طــه حسين حينما كان الصحفيون يسألونه لم يكن يجيبهم ، معتذراً بأن توفيق الحكيم يعرف رأيه !

فهل كان هذا الصمت مقصوداً من طــه حسين ردا فى نفسه على الاقل ، على صمت توفيق الحكيم منه يوم وقف منه موقفاً سلبياً فى معركته مع الوزارة التى كان الحكيم نفسه مديراً بها ؟

ان توفيق الحكيم فيما يبدو ، هو الآخر لم ينس لصديقه هذا الموقف ، وروى لى فى حديث معه (*) عن واقعة ظاهرها برىء ، وباطنها ابعد ما يكون عن البراءة ، فقال :

« ان كتاب طه حسين « مع المتنبى » قد أحدث الكاتب الأديب « محمود شاكر » بشأنه ضجة فى الصحف متهما طه حسين بأنه نقل كتابه عن كتاب آخر عن المتنبى لمستشرق اسمه « بلاشير » ، وقد التزم طه حسين الصمت وقتها ، ويبدو أن هذه المسألة كانت سبباً فى أن « اليونسكو » لم يدع طه حسين الى حفل أقيم فى باريس ، دعيت انا اليه ، ولم يدع طه حسين اليه ، رغم أنه كان فى ذلك الوقت فى باريس لحضور مؤتمر لليونسكو ، ولما اكتشفت ان طه حسين غير مدعو الى نفس الحفل الذى دعيت لحضوره ، اعتذرت عن قبول الدعوة . (وكنت فى باريس آ نذاك) بحجة اننى مضطر للسفر الى القاهرة لظروف خاصة ، ولم اخبر طه حسين بذلك ابداً حتى لا أجرح مشاعره » .

★ ★ ★

فهل كان تذكر توفيق الحكيم ، لواقعة « المتنبى » و « طه حسين » و « بلاشير » و « محمود شاكر » ، مقصودة كرد فعل نفسى على موقف طه حسين منه حين أتهم بسرقة « الحمار » ، وموقفه منه ايضا حين علق على مسرحية « يا طالع الشجرة » لتوفيق الحكيم تعليقا حاداً حين قال فى حديث لصحفى شاب (*) :

« ان هذا اللون من الأدب مقبول فى اللغات الأجنبية لأنه ينتهى الى فلسفة عليا ، واما الى التسلية والضحك ، اما فى اللغة العربية فلم اقرأ شيئا ذا بال ، أما رايبى فى « يا طالع الشجرة » ، فان هذه

(★) فى ١٩٨٦/١٢/٢٠ .

(★) مأمون غريب الأديب والناقد المعروف الآن الذى استنفزه عدم ترحيب الحكيم للادلاء بحديث له ، فذهب الى طه حسين ونجح فى الحصول على حديث منه انتقاما من توفيق الحكيم .

المسرحية كلام فارغ ، فمسرح اللا معقول فى العالم كله لا يبعث على الضحك ، وكذلك مسرحية الحكيم لم تضحك أحداً » .

واضاف « ان حرص الحكيم على أن يأتى بأشياء غريبة هو الذى دفعه الى هذه المحاولة ، وباخلاص .. فهذه المسرحية نوع من الهذيان العقلى .. وهى تجربة كما قلت فاشلة ، والدليل على فشلها ان الحكيم عدل عن هذا الاتجاه فيما بعد » .

★ ★ ★

فهل كانت بعض آراء طه حسين المنشورة ، والتى تعكس موقفا سلبياً من توفيق الحكيم كمبدع ، كما راينا فى موقفه من « يا طالع الشجرة » ، وكما سنرى فى حديث لطه حسين مع وفد من الادباء نشره الملحق الأدبى « للأخبار (*) » وجاء فيه كلام عن بخل الحكيم ادرك طه حسين بنفسه أنه « سيزعل منى » ، وهو ما حدث بالفعل حين نقل ثروت اباظة رد فعل الحكيم الى طه حسين بعد نشر الحديث ، فجاء رده أن حديثه قد تم تجريفه !

فهل كانت بعض آراء طه حسين هذه قد أحدثت لدى توفيق الحكيم ضيقا نفسيا أراد الرد عليه حتى بعد أن رحل طه حسين عن دنيانا ، فنجده فى حديث له باحدى الصحف (**) ينفى عن طه حسين انه كان أول من نادى بمجانية التعليم ، وينسب الى نفسه هذا الفضل حين يقول :

« خضت بنفسى سنة ١٩٣٤ ، معركة مجانية التعليم ! ، وان كنت لا أذكر الآن تفاصيل القضية التى خضتها ! ولكنى اذكر بالتحديد انه كان هناك نوع من المجانية فى ذلك الوقت أى عام ١٩٣٤ ، كان هناك نوعان : الأول مجانية التفوق ، والثانى مجانية الفقر ، الأولى تمنح لمن يتفوق فى التعليم ، والثانية لمن حضر شهادة فقر ، وكانت هناك درجات من المجانية : نصف مجانية ، وربع مجانية ! ومجانية كاملة ، ولكن كل

(★) ١٩٦٩/١٢/٧ نقلا عن « طه حسين يتحدث عن اعلام عصره » للدكتور محمد الدسوقى – دار المعارف .

(★★) مع يوسف القعيد فى مجلة المستقبل أول يونيو ١٩٨٥ .

ذلك نسى تماما ، ولا نذكر الآن سوى مجانية يوليو ، والبعض يتحدث عن مجانية طـــه حسين ! » .

★ ★ ★

ولا أحد يذكر لتوفيق الحكيم انه خاض معركة من أجل مجانيـــة التعليم ، فما بالك بتوفيق الحكيم نفسه الذى لا يذكر تفاصيل معركــة تجعل له السبق على طـــه حسين ، فليست هذه بالقضية التى يمكن له ان ينساها خاصة وأنه مثلا يذكر فى « سجن العمر » تفصيلات مـــن الزمن البعيد ، وفى كتابه الآخر « وثائق من كواليس الأدباء » ، يؤرخ بالكلمة والوثيقة لمعاركه فى الصحف عن المرأة والنظام البرلمانى .. الخ. لذلك يضبح حديث توفيق الحكيم عن معركة خاضها من اجل مجانيـــة التعليم لا مجال له من الصحة لأنه لا يقوم على قدم ولا يستند الى دليل، ومن ثم يصبح الحديث فى مثل هذا الموضوع محاولة لانتقاص فضل طـــه حسين ، وهو ما لم يجرؤ توفيق الحكيم على القول به فى حديث داخل مصر وانما فى مجلة تصدر فى الخارج لا يدرى بها الا القليل فى أضيق نطاق ، ذلك لأن قضية مجانية التعليم قد حسمها التاريخ وسجلهـــا لصالح طـــه حسين ، ولا يستطيع توفيق الحكيم فى كتابه « مصر بين عهدين » ان يطرح قضية سبقه الى خوض معركة مجانية التعليم ، حين ينتقد (شعار ذلك الصديق عن التعليم الذى كالماء والهواء ...

لم اتحمس لذلك الشعار ، اذ وجدته مفتقراً الى الدقة والعمق .. فالماء والهواء يشترك فيهما الحيوان مع الانسان .. ولذلك فضلت عليه شعاراً آخر هو : « الطعام لكل فم وعقل » ، لأنه يميز الانسان عـــن الحيوان .. فالطعام للانسان مختلف عن الطعام للحيوان .. ونوع الطعام يميز الشخصية عند الانسان .. واذا كان المقصود بالتعليم الذى كالماء والهواء هو محو الأمية عند الجميع ، فما قيمة محو الأمية الأبجدية مع بقاء الأمية العقلية ؟ .. محو الأمية العقلية يحتاج الى طعام عقلى لا بد من اختياره بدقة واعداده بعناية . لقد انتشر التعليم الذى كالماء والهواء بالمجانية ولم يتغير شىء كثير فى عقلية الأمة .

الذى كثر عدده هو مكاتب الموظفين الذين لا ينتجون شيئا يرقى بعقلية الأمة . كما أصبح التعليم مجرد الحصول على شهادة للحصول على وظيفة ، لا شأن له بالتكوين الثقافى للعقلية والشخصية » .

ونتساءل اذا كانت الفكرة نبيلة فما ذنب طــه حسين فى تطبيقها ، أننا نلاحظ أن انتقادات توفيق الحكيم لطــه حسين كشخصية ومواقف وقضايا لم تظهر الا بعد رحيل طــه حسين ، وهذه خاصية لا ينفرد بها توفيق الحكيم وحده ، فقد سبقه اليها طــه حسين نفسه حين انتقــد فى ندوة تليفزيونية (ضمت أدباء مصر) مذاعة ، عبقريات العقــاد وقــال :

« قرأت هذه العبقريات واعترف بأننى لم أفهم « عبقرية عمر » ولا « عبقرية الصديق » واستغربت فى « عبقرية محمد » لأنى وجــدته يوازن بين واقعة « بدر » وبين وقائع نابليون ، ولا علاقة مطلقاً بين جيش لم يكن يبلغ الفى مقاتل وبين جيوش بونابرت الهائلة » !

فقد جاء انتقاد طــه حسين للعقاد بعد وفاته أيضاً ، وجاء بعد أن كان قد بايع العقاد بامارة الشعر بعد وفاة شوقى بعامين ، ١٩٣٤ .

ومهما يكن من أمر فان للنفوس البشرية أسرارها ومكنوناتهــا ، فالأدباء بشر يسرى عليهم ما يسرى على البشر . فى هذا الاطار فقط يجب أن نأخذ ما قالوه عن بعضهم البعض أحياء وأمواتاً ، فى حجمه الطبيعى دون تهويل ، فهذه تعليقات نفوس تسر أحيانا وتغضب أحيانا أخرى ، وتستوى أحياناً وتتقلب أحياناً أخرى ، ولا يبقى لنا من هؤلاء الأدبــاء الا ما يجب أن نحتذى به فى علاقاتهم الانسانية السامية وأدبهم الرفيع ومعالم التنوير التى تركوها لنا لنهتدى بها .

★ ★ ★

ورغم ما قاله توفيق الحكيم مما رصدنا بعضه ، فى حق طه حسين ، وهو ما لا يشغلنا كثيراً أو حتى قليلا لأن جوهر العلاقة بينهما كانت أقوى وأعمق فى دلالاتها من كلمات عابرة قالها هذا فى حق ذاك فى ظروف

معينة نقول رغم ما قاله الحكيم فى حق صديقه طه حسين، إلا أنه فى مرات أخرى كان منصفاً، ولعل هذا الإنصاف هو التعبير الحقيقى عن مشاعر توفيق الحكيم تجاه صديقه طه حسين الذى يقول عنه (*) :

« انه يحب التفكير العام الواضح ، والحديث السلس النفاد ، ولا يحب التركيبات العميقة فى الفكر والفن ، وعبقرية طـــه حســين فى حياته اكثر منها فى كتاباته ، وكثيرون يستطيعون ان يكتبوا ما كتب طـــه حسين ولا يكونون مـــع ذلك طـــه حسين لأن طـــه حســين فى الحقيقة هو شخصية واشعاع أكثر منه ابداع » .

ورغم ما فى هذه الكلمات من غمز ولمز الا ان توفيق الحكيم يرى فى طـــه حسين صرحاً فكرياً يؤهله ويرشحه لجائزة نوبل كمستحق لهـــا عن جدارة واستحقاق ، فيقول فى نفس الحديث المشار اليه :

« لو ترك لى الخيار لرشحت د. طه حسين لهذه الجائزة ، فهو فى نظرى يستحق نوبل لاعتبارات كثيرة ، منها انه رجل ضرير استطاع ان يخرج من البيئة الدينية التى نشأ فيها الى أوربا ويعمق تفكيره ويقيم جسراً ثقافياً بين الأزهر والسوربون ، فلقد كان يتوجب على الغـــرب أن يقدر هذا الجسر فضلا عن الصرح الفكرى الذى شـــيده انســـان ضرير ، ثم ان طـــه حسين كان مناضلا ، لقد جاهد من وجهة نظـــر انسانية ضد الظلام وأبدع ، أجل كان يستحق فعلا جائزة نوبل للآداب».

★★★

ولما كان عميد الأدب العربى قد رحـــل دنيانا ، ومصر والعـــرب مشغولون بعبور الهزيمة الى النصر فى حرب اكتوبر — رمضان ، فان توفيق الحكيم لم ينس وداع صديقه الكبير فى كلمة موجزة مؤثرة نشرها فى « الأهرام » فى اليوم التالى ٢٩ اكتوبر ١٩٧٣ ، لوفاة الأديب الكبير جعل لها عنوانا رائعا :

« فارق الحياة بعد أن فارق اليأس روح مصر » .

(★) فى حديث لمجلة الوطن العربى فى ٨ يونيو ١٩٨٤ .

أوجز فيها وجمع تاريخ علاقته بطـــه حسين فقال :

« فجيعة كبيرة .. فجيعة الأدب العربى فى عميـــده العظيـــم ، وفجيعتى أكبر فى اخ قديم كريم . واذا كان اللسان العربى منذ نطق أدبا سوف ينطق الى آخر الدهر باسم طـــه حسين وفضله على لغة العرب ، فان لسان القلب لن يكف عن ترديد ذكراه ما بقيت على قيد الحياة . فقد جمعتنا اجمل أيام العمر كما جمعنا الفكر على صفحات كتاب .

انك أيها الصديق العزيز اذ تعبر الدار الفانية الى الدار الباقية انما تعبرها بنفس مطمئنة راضية بعد أن عبرت بلادك الهزيمة ، أن روحك العظيمة لم تشأ ان تفارق جسدك الا بعد أن فارق اليأس روح مصر .

اللهم اغمر برحمتك الواسعة ابنا لمصر من أعظم ابنائها الذين أدوا لها من الخدمات ما سيبقى منقوشا فى سجل الخلود » .

★ ★ ★

وعلى ندرة مشاركة توفيق الحكيم فى الحياة الاجتماعية من تهنئة لعزيز ، أو تعزية فى قريب او صديق ، فانه حرص على أن يكون أول المتصدرين لجنازة الفقيد العظيم .

وحين سؤل (*) عن مضمون رسالة الى صديقه يمكن ان يبعثها الى طـــه حسين فى العالم الآخر ، قال توفيق الحكيم ملخصاً الصورة بين عصر طه حسين وعصر ما بعد طـــه حسين « لو بعثت رسالة الى طـــه حسين اليوم أقول له فيها :

ان كل ما سميناه عصر التنوير فى العشرينيات والثلاثينيات قد أصبح اليوم عصر التعتيم ، فالأجيال الجديدة لا تعرف شيئا الآن عما سبق من جهود فى سبيل فتح الأذهان وحرية الأفكار .. وأن الأمية لم تعد فقط فى الحروف الهجائية بل أضيفت اليها أمية فى العقلية » !!!

(★) مجلة الوطن العربى ٩ يونيو ١٩٨٣ .

وثائق

دمنهور في ٢٨ مايو ٩٣٣

أستاذنا العزيز

انى مضطر ان ابعث اليك بهذه الرسالة أيضا وأنا
اخشى أن يكون في هذه الرسائل انفاق لوقتك أكثر مما ينبغي.
لكنى كنت يوم الجمعة الماضى في الاسكندرية بجوار البحر
وحيدا فتقدمت "بريسكا" تحدثني. هذا الحديث المرسول
اليك لترى رأيك فيه. وانه من المستحيل على الآن
ان أكتب شيئا أو أن أفكر في شيء دون أن أعرضه
عليك. ان في هذا راحة لى كبيرة. وان في هذا أيضا
فائدة لى كبيرة. وحديث "بريسكا" جاء الآخرين
فيما يظهر. فانى أرى "مشلينيا" يريد كذلك أن يفضى
الىّ بأشياء. و"مرنوس". و"الراعى" حتى الكلب "قطمير"
أفأسترسل معهم في أحاديث متتابعة. أم أن هذا
عمل طويل ولا نتيجة له! سنتكلم في هذا عند المقابلة.
ولقد طلب نظام العطلة القضائية لصيف هذا العام فكانت
من نصيبى اجازة تبدأ من أول يونيو وتنتهى في ١٠ يوليو.
أربعون يوما أريد أن أكتب فيها شيئا فضلا عن المطالعة
وأريد أن أوزعها في الاسكندرية وفي القاهرة. فاذا
أكتب اليك؟ سأراك ستتكلم في كل ذلك ان شاء الله.
وأرجو أن يقبل الدكتور الحبيب تحيتى وعميق احترامى

توفيق الحكيم

Tewfik el Hakim

من الحكيم إلى طه ٢٨/٥/١٩٣٣ : من المستحيل على الآن أن أكتب شيئا أو أن أفكر فى شىء دون أن أعرضه عليك.

دمنهور في [illegible]/١٠/١٩٤٢

(5)

عزيزي الدكتور الكبير

أبعث لك هذا رسالة من مستشرق انجليزي اسمه مستر نويل باربر أعرف انه يبحث في كل ما يتصل بالبيئات الشعبية والأغاني والأناشيد والمسرح المحلي في الشرق الأدنى. وانه أقام في تونس ومراكش زمنا من أجل هذا الغرض. ثم جاء مصر ومكث فيها عامين ثم نزح الى فلسطين وهو ينتظر الآن الى أن يغادرها برا الى العراق والشام [illegible]. ولقد سبق أن بعث الي شاب اديب (أمين حسونه) في أول الصيف الماضي خطابا يطلب الي فيه نسخة من عودة الروح لهذا المستشرق ففعلت.

اني لم أرد بعد على المستر باربر بنعم أو بلا، قبل ان اعرض الأمر على الدكتور. ان اثر الدكتور العظيم في حياتي الأدبية يبيح لي أن أطلب رأيه بل إشراكه بالفعل فيما تدعو اليه هذه الحياة الأدبية من تصرفات.

أرجو الدكتور ان يبلغ مدام طه احترامي وأن يشعر بما أحمله له في نفسي دائما من حب واخلاص واكبار.

المخلص
توفيق الحكيم

سأعمل ما في وسعي للحضور الى القاهرة [illegible] هذا الاسبوع ان شاء الله.

مشكلة أخرى اعرضها على الدكتور: جاءني الآن [illegible] من لجنة التأليف والنشر ردا على استفساري عن حقوق التأليف الخاصة بأهل الكهف [illegible] و اللجنة بطبع ... [illegible] يصح لا الحق في اعادة الطبع بدون رغبتي في أي وقت كما يصح الحق في الاستيلاء على جزء من حقوق المؤلف اذا ترجم الكتاب أو مثل على المسرح.

او اقتبس موضوعه للسينما او الاذاعة الخ ؟؟

هذه الحقوق التي تترتب للجنة لمجرد طبع الكتاب بالمدة المعينة. معناها اني قد تنازلت عن حقوقي التأليف في مقابل طبعه مجاناً الى ما شاء الله. مع ان اللجنة لم تشتر حق التأليف. ان قانون اللجنة فيما أدري كالقانون الحماية الانجليزية. لا قاعدة له من قواعد الحق والانصاف. ان رأيي الآن هو أن أقوم أنا نفسي بطبع هذا الكتاب كما فعلت أولا. أو أن أبيع حق الطبعة الأولى فقط أي حق طبع ألفي نسخة فقط لناشر من الناشرين الذين طلبوا مني هذا الطلب.

اني على ان احل مع امرتم مشكلة كهذه او ارجو الحل الكريم [illegible] بدوره رأي الدكتور.

المخلص
توفيق

مشكلة خاصة بأهل الكهف يعرضها الحكيم على طه في خطاب كتبه إليه من دمنهور ٢٨/١٠/١٩٣٣.

Je suis vraiment peiné.

Réflexion faite, ma faute est évidente.

J- devais au moins vous consulter avant de faire paraître mes livres.

Que pensez-vous de mon attitude ?

Ce qui m'accable encore, c'est votre gentillesse d'avoir si vite passé l'éponge sur tout cela, avec tant de générosité.

Vous êtes au fond un grand artiste, un vrai.

J'avoue que je n'ai pas cet âme là. Je ne suis pas digne de l'art, ni de vous.

Voici maintenant ma décision : si vous restiez fâché de moi, je renoncerais à toute carrière littéraire.

À vous

T. El Hakim

من خطاب للحكيم بالفرنسية يعترف فيه لطه بخطئه وأنه سيتخلى عن الفن وكل سيرته الأدبية إذا ظل طه غاضبا منه.

CARTE POSTALE تذكرة بريد

Partie réservée à la correspondance محل يستعمل للتحرير

Mon cher ami,

Mon ouvrage n'a d'autre pré-
tention que de mettre en dialogue
la biographie du Prophète. Je n'y
interviens que rarement, pour ne pas
nuire à l'authenticité de la figure
historique. C'est un travail de
"mise en scène" littéraire, si
on peut ainsi le nommer. A vous

7/2/1936 T. EL. H

Adresse seulement العنوان

Dr. Taha Hussein
3, rue EL Baroudi, 3
EL Zamalek
En Ville

CAIRO

رد توفيق الحكيم على طه حسين باللغة الفرنسية يوضح له طبيعة كتابه عن «محمد» صلى الله عليه وسلم.

سيدي الأستاذ الجليل طه بك حسين

حظيت بمؤلفكم (القصر المسحور) الذي تفضلتم بإهدائه إليّ فأكبرت منكم ذلك اللطف الكريم ولا شك عندي في أنني سأجد بين طياته غذاء يضاعف شكري ويحفظ لكم في نفسي أجمل الذكريات — أدامكم الله منارا للعلم والأدب.

أم كلثوم
إبراهيم

خطاب من كوكب الشرق أم كلثوم تشكر فيه طه حسين على إهدائه لها كتابه المشترك مع توفيق الحكيم «القصر المسحور».

العنوان التلغرافي : سنديكول بمصر

تليفون رقم { ٥٤٤٠٠ / ٥٤٠٠٦

شارع ~~قصر النيل~~ رقم ٣٦

٢ مارس ٤٧

حضرة صاحب السعادة أستاذنا الأكبر مفخرة العلم والأدب

الدكتور طه حسين بك

عدت من حلوان بعد أسابيع طوال قضيتها مستشفيا وقد خفت عني العلة ولكن لم تزل وأشعر بضعف ما زال شديدا أخشى ألا يمكنني من التشرف بزيارتكم يوم الأحد القادم فأعتذر على أسف شديد مني ولكني إذا شعرت بتحسن لم أحرم نفسي نفع اللذة من شوقي إليكم وأعرف أنكم ستغفرون لي تلك المفاجأة

أرجو تقديم احترامي الخالص لحضرة السيدة الفاضلة الأم مثلها عقيلتكم وتحياتي لنجليكم النجيبين الابنتين ولا أفرق بين الذكر والأنثى ذكاء وثقافة وطهارة أخلاق ثم أكرر لأستاذنا الأكبر آيات ودي وإجلالي المخلص خليل مطران

اعتذار من خليل مطران إلى طه حسين على عدم زيارته بسبب مرضه .

الأديب المنفى..!

بقلم توفيق الحكيم

لم تنفه سلطة من السلطات ، ولا هيئة من الهيئات .. ولكنه نفى نفسه بنفسه بعيدا عن بلده .. اذ شعر أن بلده لم يعد في حاجة اليه ... لقد اعتصر هذا البلد خير عمره الذى مضى ، وجهده الذى انقضى ، كما يعتصر الكرم الطيب العريق ويسكب روحا صافيا ، ونورا نقيا في نفوس الناس ... ذهب الى بلاد تعرف قدره وفضله .. وتدرك أنها في حاجة الى علمه وادبه .. حاجة لا تنتهى ولا تزول .. لانهم في تلك البلاد لايعرفون حدا للفضل والعلم .. ولايقيمون سدا في وجه العلماء والادباء ... لقد دعته جامعة مدريد ليلقى فيها سلسلة من المحاضرات .. ثم دعته جامعة السوربون ليحاضر طلابها طول العام ... هذا ماوافتنا به أخيرا أنباء الصحف ... فهو اذن قد استقر به المقام خارج مصر ... لاينوى العودة اليها في القريب .. وربما وجد من عناية القوم به هناك ، ماينسيه طعم المرارة التى ذاقها من اهمال قومه هنا وذويه .. وربما أغرته تلك الحفاوة بالبقاء الطويل في أرض ، يزهر فيها الجد ، ويثمر المعروف ...

على أن المسألة التى يجب أن تطرح هى : من الرابح في ذلك ومن الخاسر؟ .. أما الدكتور طه حسين بك فما نظنه يخسر شيئا .. فهو اينما سار في بلاد النور ، وجد التقدير في استقباله ... ولكن الخاسر في ذلك بلاده .. فهى التى ستتعرض للوم والتقريع يوم تعرف الدنيا أن مثل هذا الاديب لايجد في وطنه غير الاهمال والاغفال ... انها صفحة لانحب أن يسطرها التاريخ لمصر في نهضتها الحاضرة .. بل صفحة أخرى كنا نود أن تكتب : هى أن هذا العصر ، الذى ازدهرت فيه المعارف والآداب في مصر ، قد عرف كيف يذكر لصاحب الفضل فضله ، دون نظر إلى أى اعتبار .. وان فضل طه حسين لا يقف عند حد آثاره الباقية في الادب الحديث ، بل يتعداه الى اثره القائم في تلك المنارة المضيئة في الشرق .. التى جاهد في بنائها .. حجرا فوق حجر .. لن يستطيع الزمان أن يجفف من احجارها بلل عرقه ، ولا أن يمحو طابع اصابعه !... تلك هى : الجامعة !.. نعم الجامعة .. التى يبدو منها اليوم أنها ليست في حاجة الى يده .. بينما تهتف به جامعات أوروبا فاتحة له الاذرع والقلوب ...

●

ما من شك في أن لطه حسين اصدقاء .. على الرغم من هذا الصمت الذى يلوذون به الآن .. اصدقاء من رجال الجامعة .. ومن رجال الادب .. ومن رجال السياسة .. ومن الرجال الرسميين .. فماذا تراهم فاعلين ليشعروه أن وطنه محتاج اليه ، وأنه لا يطيق غيبته الطويلة ولا نفيه المختار ؟؟ ..

●

اعرف أن الامر ليس ميسرا .. وان كان في الصدور نوايا طيبة ، وفي النفوس شعور حسن ... ولكن أما من سبيل الى سعى مشترك ، وصوت متحد نبلغ بهما ما نلتمس من غاية ؟ ..

ان لم يكن في المقدور عمل مجد .. ولم يبق لنا غير قول يرسل .. فلا أقل من اطلاق الصوت عاليا ، ليصل اليه في منفاه ... يدفئ برد غربته ، ويخفف من لوعته .. ويؤكد له أن مصر لن تنساه !..

توفيق الحكيم

مقال توفيق الحكيم الذى يتحدث فيه عن خسارة مصر بهجرة طه حسين - أخبار اليوم ٩/١٠/١٩٤٨.

(8)

Le Grand Hotel

Place de l'Opéra
12, Boul.d des Capucines
PARIS (9)

باريس في ٣ سبتمبر ١٩٢٩

صديقي العزيز

تلقيت كتابك الكريم، وها أنا فرغت الآن على الهبوط
من شمال فرنسا إلى جنوبها، ثم الصعود من الأرض إلى
القمم، على ارتفاع أربع عشرة مئة من الأمتار، وأن أركب
القطار ثم أنتقل منه إلى "الكار" حتى أخذني الدوار!..
فأنا أقصى جهودي أن أهبط من الفندق إلى القهوة، وأصعد
من القهوة إلى الفندق.. فإذا غادرت يوماً وذهبت
إلى حي متطرف من أحياء باريس، فإني أقول: "اللهم
ردّ غربتي!..." وأعود حالاً إلى مقري وأنا أتنفس
الصعداء... ثم كيف أترك باريس الآن، وقد بدأت
المسارح تفتح أبوابها باباً بعد باب.. وأخذ "المحار
البرتغالي" و"بلح البحر" تظهر بشائره في مطعم

في «ملك الأصداف» في ميدان «كليشي»!... وأنا من هواة «المحار».. لا أتعب من ملاحظة بائعه وهو يفتحه بسكينه، ويرصه في أطباقه، بجمال خدم المطاعم.. فتسافر أنظاري خلف الأطباق، ثم هو تعبيب بديع الزمان...

لا.. ليس من السهل أن أترك باريس الآن.. خصوصاً وأن مقامي فيها لن يجاوز اليوم العشرين من هذا الشهر.. فأمامي إذن أقل من أسبوعين، أعد فيها عدتي للرجوع إلى مصر.. فإذا أردتم من مصر شيئاً فأنا رهن الإشارة..

وختاماً أرجو لكم ولمدام ومؤنس وفريد مقاماً طيباً وعوداً حميداً.. وأن أراكم في مصر هذا الخريف على أحسن صحة وأنتم هناك بإذن الله والسلام

توفيق الحكيم

Tewfik el Hakim

حاشية - السجاير التي عندي كيف أوصلها إليكم؟.. وكذلك لكم في رفي هدية هي زجاجة «أولد بار» جئت بها لكم من مصر ونسيت أخبركم بأمرها... أظن الأوفق أن أحمل هذه الأشياء في حزمة وأن أودعها أمانة لكم عند بواب «لوتيسيا».. هل من رأيكم ذلك؟!

خطاب الأعذار الواهية من الحكيم إلى طه.

(٦)



Place de l'Opéra
12, Boul^d des Capucines
PARIS (9)

باريس في ١٤ سبتمبر ٤٩

صديقي العزيز!

قرأت المقال الظريف، بلذة وسرور، ولا أرى في نشره بأساً.. فالأسباب مشهورة.. وليس من السهل تجنيب أصحابها، ونصف أهل بلدنا ولله الحمد يخافون من المصاعد.. وأنا أعرف في مصر كثيرين، يتجشمون تسلق الدرج المرتفع، حتى تنقطع أنفاسهم، ولا يأمنون استخدام المصعد.. لأنهم يعتقدون انه سيفلت من حباله ويسقط بهم في الأعماق.. أما أنا فأقسم اني ما خفت المصعد قط يوماً.. لأني أسكن في أغلب الأحيان في الطابق الأول..

حضوري إليكم في ساحل البحر ليس من الميسور، لأني فيما يبدو لن أركب السفينة من مارسيليا.. ولكني قد أركب الطائرة من باريس!.. نعم الطائرة!.. وهنا

موضع الدهشة !... أهي شجاعة مفاجئة ؟.. لا أظن ذلك..
إنما هي الضرورة.. ضرورة عودتي إلى مصر قبل افتتاح
معرض باريس، لأن معرضاً آخر سيفتتح في بيتي..
سنشهد فيه الطبيعة تنشر الوجود تحت مولود.. إن
هذه اللحظة الأولى والصيحة الأولى لنور الحياة فيها من
الروعة ما ينسينا أحياناً كل جمال الفن البشري... ولعل
إننا هنا [crossed out] أمام فن الله !..
جعلت السجاير في حزمة ووضعتها [crossed out] وتركتها
في عهدة بواب اللوكسمبورج.. وأتمنى لكم جميعاً إقامة
طيبة في فرنسا، وعودة سالمة غانمة إلى مصر..
وأرجو أن تكتبوا إلي دائماً بما يلذ لكم، وأسأل
الله أن يجمعنا في بلادنا بعد قليل، وأن يوفقنا هناك
إلى إنجاز العمل التونسي الذي تعاهدنا عليه.. واحتراماتي
للمدام وتحياتي للجميع مع أطيب تمنياتي

توفيق الحكيم

رد الحكيم على طه والذى يطمئنه فيه على مقاله الذى بعثه إليه لأخذ رأيه فيه ناصحا له بنشره .

الصفحة الأولى والأخيرة من أطول خطاب لتوفيق الحكيم إلى طه حسين - مكون من ٦ صفحات.

الاهـــــداء

الي الاستاذ الكبـير الدكتور طـه حسـين

" وما أريد أن اخفي علي صديقي الاستاذ عزيز اباظه "
" اني لست من الكلفـين بالقـصص التمثيليه الـتي "
" تعرض علي الناس شـعرا في هذه الأيام • وشعـرا "
" عربيـا بنوع خاص "

هذا كلام قلتـه في مقدمتك لمسرحيتي " غروب الاندلس " وعرفه الناس عنك •

ولكننا مع ذلك ـ زميلي وأنا ـ نقدم لك هذه المسرحيه الشعرية " شهريار " هدية مرفوعة • وما نظن أن لك حيلة الا أن تقبلها •

ولعلك تذكر أنك منذ سنوات كتبت قصة قصيرة عن شهر زاد وأختها دنيا زاد • وتفضلت فأهديتها الي • فظللت منذ حظيت بهذا الأيثار أحاول أن أفـرغ لمعالجة تلك الأسطورة الرائعـة ولكن شواغل الحياة تتجمع وتترادف فأهمل وأمهل • ثم وافاني بعد ذلك صديقي الاستاذ عبد الله البشير بمسرحية عـن " شهرزاد " كتبها بالانجليزيه ليمثلها طلبته بمعهد المعلمين فاحتشدنا لهذا الموضوع علي بعض هدينك فكانت هذه المسرحية •

فاذا نحن اهديناها اليك • فذلك لأنك الي جانب مكانك السامق فـي سماوة الأدب صاحب وحيها وباعث فكرتها •

فانظر كيف تتضافر الأسباب لتجعل حتما من الحتم أن يُحمل اليك بعض مـا تكره أو علي الأقل بعـض ما لا تحب •

وكأني اشهدك الآن يا استاذي الجليل وأنت تضرب كفا بكف • بل لكأني اسمعك مخافتا تتمثل بقول الحارث بن عباد

لم أكن من جناتها علـم اللــه
وأنـي لحرهـا اليـوم صـال

والسلام عليكم ورحمة الله !!!

الشاعر عزيز أباظه يهدى مسرحيته المشتركة «شهريار» معترفا باستلهامها من قصته القصيرة «شهرزاد وأختها دنيازاد»

الفهرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٤٤٤٥ / ٢٠٠٣

I. S. B. N 977 - 01 - 8793 - 3